الثقافة

مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق

العدد الثالث ـ السنة الثالثة
آب « اغسطس » ١٩٦٠

آب (اغسطس)

١٩٦٠

العدد الثالث

السنة الثالثة

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

شعب ... وثورة

شعر : حامد حسن

وطن الملاحم والخلود لهب غمست به نشيدي
وطني ... وأقسم بالشهادة في سبيلك ، والشهيد
بالحقد ... يصخب بين جانحتي ، ... يهدر في قصيدي
بالثأر ... أورثنيه آبائي ، وأورثه حفيدي
بالدارعين ، الساهرين ، الرابضين على الحدود
بالجيش ... جيش بني أبي في القدس خفاق البنود
لا ... لن تكون القدس دارا للصهاينة اليهود

* * *

آمنت بالشعب المجيد ، وثورة الشعب المجيد
بالله ... بالتاريخ تكتبه العروبة من جديد
بالساخرين من الوعود ، الهازئين من الوعيد
العازفين عن المسرة ، والأسرة ، والرقود
يتطلعون الى الغد العربي ، والزمن الرغيد
والراية الكبرى ترف على الجباه ، جباه صيد
فتموجي في كف عبد الناصر اليمنى ، وميدي
المستجاب ، المستجيب لها اذا نادى ، ونودي

* * *

آمنت بالشعب المجيد وثورة الشعب المجيد
وكفرت بالسيف الرحيم ، يعف عن حز الوريد
حطم قيودك ، وامش مختالا على مزق القيود
أطعم شبابك للحديد ، وعب من شعل الحديد
فالمجد كل المجد لا للنار ، .. لكن للوقود
فيم التطلع للخلود ؟؟ وفي يدي خلق الخلود

* * *

آمنت بالشعب المجيد وثورة الشعب المجيد
بالمارد العربي ، بالعربي ، بالبطش الشديد
بالناصر الجبار ، يصرع كل جبار عنيد ...
وسجدت للتاريخ تكتبه العروبة من جديد

* * *

بالأمس ... ناء الرافدان ، وسدة النيل السعيد
بالعابثين بكل ما في القصر ، من هيف ، وغيد !!
والحائمين به على شفة معندمة ، وجيد !!
أين البطولة ، والحفاظ المر ، ؟؟ يا بلد الرشيد
بالأمس حطمت « السعيد » وظل أعوان « السعيد »

الطابع الشعري للكلمة العربية

بقلم: زكي الأرسوزي

ما الشعر ؟ وما هي مقوماته ؟

الشعر في الحدس العربي هو عبارة الشعور ، العبارة التي توحي بمدلولها حيا ، بحسب اشتقاق الكلمة من شعر . ومقومات الشعر هي: معنى وصوت وخيال (صور بالمجاز) .

أما المعنى فهو الهام يبزغ من تحت الشعور فيمثل حياة صاحبه الشاعر ، تمثيل الجنين ، لدى بدوره في الرحم ، ثمرة حياة أمه . والمعنى وان قام على كلمات يستعيرها الشاعر من البيئة الاجتماعية ، فهو روح القصيدة ومصدر نظامها ، يظهر رواؤه فيما يضفي من تلون خاص على كل من معاني الكلمات المتعارف عليها عند الجماعة . ومن هنا العلاقة في الحدس العربي بين الكلمات : شعور ، شعر ، شعر . فكأن الشعور ينبعث من الوجدان كما ينبت الشعر من الجلد . ومن هنا الالزام في الشعر ، التزام الشاعر بنات نفسه التزامه بما ينبت من جلده .

والعبارة التي آثرها الذهن العربي من بين العبارات للافصاح عن شعوره هي الصوت ، لما تتضمن هذه العبارة من مداد Rythme ذي جذور في بنية الجسد . ألم يكن الانشاد وسطا بين الشعر والعزف (الموسيقة) ؟ يستعين الشاعر بالوزن والايقاع على نقل شعوره حيا الى المستمعين . وعلى قدر ما تأتي العبارة صادقة تذكو الحياة في المعنى . ان الاسلوب في التعبير عن جلائل الاعمال يختلف عن الاسلوب في المهزلة .

واذا آثر العرب الشعر على غيره من الفنون فان الشعر يجمع بين العزف والرسم ، بين الايقاع ذي الجذور في

وأميل عن هـذا « الحسين » الاجنبي ، الى « يزيـد »
كنـا الرصيـد رصيـد عزته ، ... فقامر بالرصيد !!
عشـق التمرغ بالرغـام ، عـلى التخلـق بالـورود
مـا أقبـح التيجـان ان عقـدت عـلى هـام العبيـد !!
لا تطمئن الى الجـراح ، اذا اندملـن عـلى صديـد
مـن صير العـربي في اخيـم كعـرض ابيـه سـود
وصغارنا بـين المـروع ، والمجـوع ، والشريد

* * *

وتطـلع الأمس القـريب ، بنـا الى الأمس البعيد
والمجـد ... والتاريـخ تمتمتـان في شـفتي وليـد
والصمت ... أرهب ما يكون الصمت في ظلمات بيـد
والله أكبر ... في « الحجـاز » ، تهز وجدان الوجود
وارتجـت الصحـراء ، هـادرة الابـاطح بالجنـود !!
سـجـد الزمـان لنا وأمعـن في الضراعة ، والسـجود
واليـوم مثل الامـس ، والتاريـخ يبعث مـن جـديد

قم يا « صلاح الديـن » في حطـين ، قم ياابن الوليـد
قم يا « جمـال » فـأنت كل المجـد في كـل الجـدود
وضعوا الحـدود ، وأنت أنت الشمس تهزأ بالحـدود
لا ... لـن تظـل القـدس دارا للصهـاينة اليهـود

* * *

أنا في دمشق الشام ، في بردى ، وأهلي في « الصعيد »
والموج فـوق الشاطىء المخضوضر ، الغزل ، المـديد
قبـل ذرتهـا « الـلاذقية » في مراشف « بور سـعيد »
وتوجـد الـكبـد العميـد ، الى أخ الشـغف العميـد
أغنيتـان على فم الدنيـا ، على وتـر وحيـد
سـطران للمجد الطـريف ، من البطولـة ، والتليـد
حفظـا ملاحمنـا الطـوال ، وكـل مختصر مفيـد !!
آمنـت بالشـعب المجيـد ، وثـورة الشـعب المجيـد
وسـجدت للتـاريخ تـكتبه العـروبة من جـديـد .

حامد حسن

الجسد وبين التلونات ذات الوضوح والدقة ، وشأن الخيال في الشعر هو أن يتمم عمل الايقاع الصوتي في احياء المعنى • هاك مثالا عن البيان الصوتي المرئي في وصف امرىء القيس للفرس :

وقد اغتدى والطير في وكناتهـــا
بمنجرد قيـــد الاوابد هيكل
مكـــر مفر مقبـــل مـــدبر معـــا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

وهاك أمثلة أخرى يظهر فيها تأثير الخيال المرئي على اذكاء المعنى :

اذا قلت هـــاتي نوليني تمـــايلت
على هضيم الكشح ريا المخلخل
مهفهفة بيضاء غير مفاضـــة
ترائبها مصقولة كالسجنجل
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش
اذا هي نصتـــه ولا بمعطـــل
وفرع يزين المتن أسود فاحم
أثيث كصنو النخلة المتعثكل
تصد وتبدي عن أسيل وتتقي
بناظرة من وحش وجرة مطفل

امرىء القيس

نظرت بمقلة شـــادن متربب ،
أحوى أصـــم المقلتين ، مقلـــد
والنظم في سلك يزين نحرها
ذهب توقـــد كالشهاب الموقـــد
صفراء كالسيراء ، أكمل خلقها
كالغصن في غلوائـــه ، المتـــأود
والبطن ذو عكن ، لطيف طيه
والاتب تنضجـــه بثـــدي مقعـــد
محطوطة المتنين غير مفاضة
ريـــا الروادف بضـــة المتجرد

النابغة الذبياني

ودارهـــا بالرقمتـــين ، كأنهـــا
مراجع وشـــم في نواشر معصم
بها العين والارام يمشين خلفه
واطلاؤها ينهضن من كل مجثم

زهير بن أبي سلمى

ولكن اذا كان لكل أمة شعرها المستوفي شروط مقوماته من معنى وبيان ، فان الامة العربية وحدها تتملك أداة بيان يشف فيها المعنى من العبارة جملة وأجزاء • لا يقف البيان عندنا على الاسلوب فحسب بل انه يشمل القواعد والحروف والحركات •

فبالجمع تبرز خصائص المفرد فيجمع المذكر السالم بتحويل التنوين الى (واو ونون) بالرفع ، والى (ياء ونون) بالجر : مؤمن • مؤمنون • مؤمنين • وفي المؤنث السالم تتحول التاء المربوطة الى تاء طويلة ، ويتبع هذا التبدل تعديل بحركة الفتحة المناسبة للحركة المتقدمة على التاء (الف) فتصير : مؤمنة ، مؤمنات • ويتمتع الحرف العربي بقوة بيانية ، وان تحددت هذه القيمة بمنظومة الكلمة ، الا أن بعض الحروف يقوم في هذه المنظومة مقام نبرة الايقاع في تعيين معنى الكلمة ، ويفي الحرف الاول من الكلمة على الاغلب ، بهذه الوظيفة • ان حرف « غ » هو أبلغ بيانا عن ذلك من الحروف الاخرى ، فبحسب مخرجه وما يلقى من صدى في النفس عند خروجه ، يعبر عن معنى تنطوي عليه جميع الكلمات التي تبتدىء به تقريبا ، هذا المعنى هو الغيبوبة والغموض : ومن هذه الكلمات : غاب ، غرب ، غاض ، غمر ، غطى ، أغرق ، غبش ، الخ ••

وتمتع الحركة أيضا بالبيان ، فالفتحة الحاصلة بحسب مخرجها من ركون اللسان عند صدور الصوت تعبر عن الركون والاندراج ، والكسرة الحاصلة من حدوث الصوت بكسر الشفتين ورجعتهما تعبر أيضا عن النسبة أو عودة الحالة الى الذات ، وكذلك الفتحة الحاصلة من تدافع الصوت عند خروجه ، تعبر عن الفعالية المتواصلة الدائمة •

ففي الاعراب مثلا يبدو بيان الحركات بصورة مطردة، فالفعل المضارع ذو الفعالية المتواصلة (حاضر ينزع الى المستقبل) يعرب مبدئيا بالفتحة ، وهي عبارته الطبيعية ، وكذلك الفاعل يعرب أيضا بالفتحة ، بينما نرى المفعول لكي يحتمل فعل الفاعل ، يعرب بالفتح ، وكذلك الفعل الماضي يدخل في الركون باعراض الوجدان عنه فيبنى على الفتح بيانا لذلك (العبقرية العربية في لسانها للمؤلف) •

هكذا تنبض الحياة في أجزاء كلامنا كما تنبض في خلايا الجسد، بينما هي تنحسر في لغات غيرنا فتقصر على الاسلوب حيث تكشف العبارة في تطورها عن نمو الفكرة • ان الاختلاف في لغتنا واللغات الاخرى على مثال الاختلاف بين وجه وسيم تنم قسماته عن المشاعر المختلجة في نفس صاحبه فتدعو الآخرين الى التعاطف والتعاون ، وبين وجه طامس المعالم يبقى صاحبه في عزلة عن الجماعة •

وأما الخيال فتوحي به الكلمة العربيـــة كما توحي القصيدة بالصور مجازا • هذه الخاصة في ايحاء الخيال ترجع الى الطبيعة الاشتقاقية للكلمة العربية ، الى تضمن هذه الكلمة خيال نشأة المصدر والى تضمنها الخيال المشترك مع شقائقها الكلمات الاخرى • فخيال تأثير الماء في مجراه مثلا يلازم الكلمات المشتقة من صـوت الخرير الذي يحدثه في جريانه • وذلك بالحاق حرف ما يعبر عن تلون التأثـــير ، فمن الحاق « ب » الى صوت « خر » استحدث فعل خرب ، ومن الحـــاق حرف « ج » الى الصوت ذاته استحدث فعل (خرج) وهكذا استحدثت الافعال : خرد ، خرذ ، خرم ، خرق ، الخ ••

هاكم مثالا آخر عن ملازمة خيال النشأة للكلمة المشتقة من صوت فق ، فقفق ، أي من صوت غليان الماء هنا يبرز الخيال في الفقاقيع التي تتفتح من داخلها • ويبقى هذا الخيال متفشيا في جميع الكلمات التي ترجع الى النشأة ذاتها : فقاء الدملة ، فقح الكلب عينه ، فقص النقف ، فقه العالم ، الخ ••

وقد تستعير الكلمات المشتقة من نفس المصدر قوتها الايحائية من احدى الصور الحسية البليغة ، كاستعارة الكلمات التي ترجع الى مصدر « ذكا يذكو » من « ذكاء الشمس » : الذكاء حدة الفؤاد ، أذكى النار أوقدها ، الذكاء الجمرة المشتعلة •

والى المبدأ ذاته ترجع العلاقة في الخيال بين الشريعة والشارع ، وبين الثوب والثواب ، وبين الذنب والذنب ، وبين العقل والعقال ، وبين العدالة وعدلي الفرس ، الخ •• وتبلغ القوة الايحائية أشدها في الكلمات المنحوتة • فكلمة « عبقري » مثلا : توحي بتركيبها من « عبق » و « قر » بخيال الزهرة التي تنشر العطر بصورة دائمة • وكلمة « ضفدع » توحي بتركيبها من « ضفة » (ضفة النهر) و « دعا » بخيال ضفادع أو ضفاضع تتنادى على ضفاف الانهار • وكلمة « سلحفاة » توحي بتركيبها من « سل » و « لحف » بخصائص مدلولها أي أنها تسل وهي ملتحفة بقوقعتها •

هكذا يسبغ الخيال المرئي على المعاني حلة من الشعر ، فيجعلها ذات صـــدى في الذهن ، على مثال الاشياء في الطبيعة •

وأما المعنى فهو قوام التآلف بين الصوت والخيال في الكلمة العربية •

تلك هي الكلمة العربية ذات فردية خاصة تتميز بها عن غيرها في اللغات الاخرى ، وهي من النفس عنـــد استعمالها كالنفس من الملأ الاعلى ، عنها تتلقى حدسها وبها يتحدد مدادها ، وبحلتيها المرئية والصوتية تكتسي ، (العبقرية العربية في لسانها : للمؤلف) •

زكي الارسوزي

اطياف . . .

شعر : ابو سلمى

زرعت الشوق في دربك
والاشواك في دربي

وأطيافك في شعري
وانداؤك في هدبي

ونجمك! ياالهذا النجم! ..
كم يخفق في قلبي

يقلبني هوى عينيك
من جنب الى جنب

واما التقت العينان ...
لا ألقى سوى العتب

★ ★ ★

تقولين ! .. أرى أطياف
غيري اليوم في شعرك

وطيفك وحده وشاه
بالالوان من زهرك

فهلا تقرئين اسمك
خلف الصامت المدرك

سلي الحرف .. فقد حافظ
كالقلب على سرك

وعينك! .. ليس في شعري
من السحر سوى سحرك

★ ★ ★

أطل الفجر من عينيك ..
ما أروعها طله

أرى فيها خيال اللد
والكرمل والرمله

وموج الشاطىء الغربي
في « عكا » أرى ظله

أرى في أفقها وطني
فأطبعه على قبله

لقد حملت لي العينان
ما لم استطع حمله

★ ★ ★

على شفتيك ياسمراء
أخبار وأسرار

وكيف؟! .. ونحن في العالم
ياسمراء ، أشعار

عليها من لظى التشريد
والادمع ؟ آثار

وقد كانت لنا دنيا
وكان المجد والغار

ونحن اليوم لا وطن
ولا أهل ولا دار

أبو سلمى

مكانة الشعر في كيان الامم

بقلم الزعيم الخالد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر

يسر رئاسة تحرير « الثقافة » أن تنشر بمناسبة الذكرى العشرينية لاستشهاد الشهيد الحي الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وذلك في السادس من تموز عام ١٩٤٠. بحثه القيم المجلي : « مكـانة الشعر في كيـان الامم » في هذا العدد الممتاز عن الشعر العربي في سورية .

وقد عرف الزعيم الشهبندر بأدبه الرفيع وعلمـه الوسيع ، وتفكيره الثوري . ونضاله الطويل من أجل عروبة سمحة وقومية حقة وانسانية عميقة ، ووطنيته المجاهدة من أجل الدول العربية الكاملة والمجتمع القومي الامثل .

« ربـاح »

الكلمـة

ان اليوم الذي اطلق فيه البشر على الاشياء والاجناس اسماء هو يوم سجلوا فيـه تـاريخ انتقالهم من صفة العجماوات ودخولهم في المرتبة الانسانية . وشأن هذه الكلمة التي ندعوها أسماء شأن في الامم مقدس خطير حتى ان النصرانية تقول عن « الكلمة » بلسان يوحنا (انها كانت في البدء).ذلك لانها وجدت مع الفكر المجرد الازلي الذي لا يحيط به ادراك ولا يحصره وعي ، فهي الاصل وكل شيء سواها عارض . وتشبه « الكلمة » بهذا المعنى « الفـكرة » في حكمـة افلاطون لان الفكرة المجردة عنـده هي الحقيقة الدائمة ومـا عداها صورة منسوخة . لكن الافكار يعبر عنها بالكلام أيضا فلا نمرو أن تكون « الكلمة » هي الحقيقة الخالدة بقدر انطباقها على الواقع . وفي الاسلام أن الله خلق آدم من التراب ، فلو تركه وشأنه ما اختلف عن سائر المخلوقات الحية في شيء ولكنه اعتنى به عناية خاصة فوضعه في مدرسة الالفة والاجتماع حيث علمه الاسماء كلهـا فلما اتقنها وبرع فيها نال شهادة الكفاءة الانسانية فاذن له بموجبها أن يمارس صناعة الابوة البشرية ، ومن احق بها منه ياترى وقد أصبح بالانات والآهات على بيان الآلام التي يعانيها وبالكلمـات المنسجمة على الافصـاح عن أعمق الاسرار التي تختلج في صدره .

ولو كتب على هـذا البشر أن ينشأ ويتدرج بطريق النظر بالعين فقط من غير اذن يسمع بها ولسان ينطق به فماذا تكون حاله ؟ انـه يـكون كالصم البكم الذين نشاهدهم من حين الى آخـر فيما بيننا بل هو اضعف منهم وادنى مرتبة ، ذلك لان هؤلاء قد استفادوا عرضا من ارتقاء البشر حولهم بما حصلوا عليه من الخصائص التي اكتسبوها بطريق الاذن واللسان .

ولا مراء ان الصم البكم أحد نظرا وأدق لمسا وذوقا وأقدر على فهم الحركات وقراءة اسارير الوجه وحفظ الذكريات الا انهم حسبهم ان يفقدوا المعاني الادبيةالتي يؤديها الكلام ليفقدوا معها كل ميزات الثقافة الرفيعة ، واللغة شمس مشرقةعلىالآفاق لكن الاذن الصماء كالعين العمياء لا ترى نورها الساطع .

لولا « الكلمة » التي نطق بها هذا المخلوق المنتصب على رجليه اسما للاشياء التي رآها لكان مستواه العقلي على قدر المستوى الرياضي في القبائل الابتدائية المعاصرة التي لا تعرف للاعـواد أرقاما لتجمع بهـا أو تطرح أو تضرب أو تقسم . فكما انه لا مجال بينهاللحسابوالجبر والهندسة وما تفرع منهـا من العلوم الرياضية العالية كذلك لا مجال بين الصم البكم للادب والموسيقى والعلوم وما تفرع منهـا . أولئك لا يملكون الواحد القياس في الرياضياتوهوالرقم ، وهؤلاء لا يملكون الواحدالقياسي في الادراك وهو الكلمة .

الشعر والكلمة :

فاذا كان هذا شأن اول كلمة نطق بها الانسانفيهمنا كثيرا أن نعرف كيف تيسر له ذلك ، وكيف توصل الى ربط الاصوات بالافكار ولصق الاسماء بالمسميات حتى صار قادرا على التفكير الادراكي بطريق المبتدأ والخبر . وان الشاعر ليطرب كثيرا ان يعلم ان للمواقف الشعرية

والمعاني الشعرية والاوزان الشعرية القدح المعلى في استيحاء هذه « الكلمة » التي كانت فصل الخطاب بين دورين جوهريين في حياتنا البشرية ٠

يعتقد الذين أخصوا في اللغات وتتبعوا اصولها بأن الاعياد والمراقص والمآتم والمخاطر والمجازر وسائر العادات والمواقف المؤدية الى الافراح والاتراح الاجتماعية خصوصا الصياح الجوقي المشترك كجؤار الثيران المجتمعة ، هذا كله المصدر الدافع الى النطق ٠ ومتى كان الصوت الجوقي صادرا عن انفعالات نفسية ـ كالهتاف أو الصراخ في حالة التهيج ـ يتخذ مشكلا موزونا ويتكرر على أصول متناسبة ٠ وبعض الحيوانات لا يقتصر على فهم ما يؤمر به فقط « كتعال » و « نم » و « كل » بل يصيح بما يشبه « الوصفة » ينادي بها الفرد فتجيب عليها الجماعة « بالردة » ٠ وهذا الافصاح عن الشعور بالاصوات النبرية البسيطة يشترك فيه كثير من أصناف الحيوان وقد تدرج في الانسان في أول الامر غالبا من صراخ أو جؤار فطري الى غناء جوقي مشترك ثم الى كلام مقطع صريح(١) والراجح ان كثيرا من هذه الاصوات الجوقية المحمولة الى غناء بسيط كان في أول الامر حكاية أصوات حيوانات وأشخاص يحكيها الجوق مجتمعا ويقلد أعمال أصحابها بالاشارات وبالرقص « البنتوميمي » الصامت ٠ وهكذا متى اقترنت بعض الاصوات بأشياء بعينها أو بجنس منها اقترانا متلازما متكررا بحيث يصير هذا الاقتران عادة ماثلة في النفس فان مجرد ذكر هذه الاصوات يعيد الى الذهن صورة تلك الاشياء اما بمفردها أو بجنسها الجامع ـ والصورة الجنسية هذه هي عماد الادراك الانساني ٠ ويعد هذا التلازم او الاقتران المعنوي العلامة القطعية على توطد أركان المنطق ٠

اذن فالبواعث الحافزة الى الاجتماع والمؤدية الى الافراح والاتراح وما اليها من المواقف الشعرية الهائجة قد زودت البشر بأسباب النطق وسلحتهم بامضى سلاح شقوا به الطريق من الظلمة الى النور ٠ ذلك انهم بحصولهم على النطق « قد حصلوا على (مخل ارخميدس) في رفع حياتهم الاجتماعية الى مستوى جديد في التركيب والكمال » (١) ٠

القصائد الاولى

واذا كان النطق الاول شبيها بالشعر في النبرة والوزن فهل من سبيل ياترى الى معرفة « القصائد » التي تلاها الاوائل قبلما اهتدوا الى فن التدوين ؟ وما هي الموضوعات التي تناولوها بقصائدهم ؟ وان درس الاقوام الابتدائية المعاصرة وتتبع القصص التي يسمعها الاطفال المتمدنون في أحضان أمهاتهم حتى في لب البلدان المتمدنة كل ذلك يجيز لنا القول بان الانسان الاول نطق بالاوزان وان تكن غير مقفاة ، وتناولت « قصائده » أخبار الظفر بالحيوانات وخوفها من الشرك الذي وقعت فيه وسعيها للخلاص منه وارتعاشها عند الذبح مع حكاية أصواتها من شهيق ونهيق وخواء وعواء وزئير وغير ذلك مما يؤلف جزءا ضافيا من معاجم الامم ٠

وتناولت هذه القصائد فيما تناولته أخبار الاعياد والولائم المقامة على لحوم هذه الحيوانات وما تؤدي اليه من مرح وبطر ، وشملت أحاديث اختطاف النساء وعثرتها والبكاء على المفقودين من رفقاء الصيد والقنص والراحلين من الاخوان والابناء الاعزاء ، وكان فيها الشيء الكثير من أغاني الرقص التقليدي وأغاني الرقص الروحي تقربا من الآلهة واسترضاءا لها وتمجيدا لاعمالها واستجداءا لكرمها ، وقد ورث هؤلاء الاوائل أبناءهم أديانهم وعقائدهم وتقاليدهم وحكمهم وخرافاتهم وآدابهم في بطون هذا الكلام الموزون الذي ساعد الثقافة الاولى مساعدة الكتابة والطبع في الاعصر اللاحقة وذلك بسبب سهولة حفظه ونقله وتلاوته فكان أشبه شيء بموسوعات مطبوعة تخاطفتها الايدي وتناقلتها الالسن قبل ظهور «جوتنبرج» ومطبعته في أوائل القرن الخامس عشر ٠

وغني عن البيان ان هذه الموضوعات التي تناولتها قصائدهم هي أسس الموضوعات التي نباهي بها اليوم ونفتخر ان تتناولها قصائدنا ، وعليها قامت أوضاعنا من حروب وانتصارات وأعراس ومآتم وأديان وعبارات وتقاليد وشعائر وملوك وأرباب ٠

ولا مراء ان قصائدهم كانت طافحة بما انطبع في قلب الانسان من الالم المفجع الذي أصابه من ألد أعدائه وهو اخوه الانسان فكان فيها روعة الشعر الحي الذي نشاهده في عصرنا في القصائد التي تعالج انانية البشر وما انطوت عليه قلوبهم من اللؤم والاذى ٠ لا جرم ان قصيدة تليت أو كتبت منذ ألف أو ألفين من السنين تقرأ اليوم وكأنها كتبت بالامس لان موضوعها حي يتصل باعماق الحياة الانسانية ٠

الذاكرة والشعر القديم

وفي الحق اننا ونحن في القرن العشرين ما زلنا نتغذى بأدب ما قبل التاريخ ، فاولادنا في طفولتهم وهو سن الانطباع الثابت يسمعون أقاصيص الفيلان والمردة والجان وأخبار العمالقة والابطال واوصاف التوثي المحجبة وما لها من اسرار وحديث أدب السلوك وحسن المعاشرة وهم في حجر أمهاتهم على الفرش الوثيرة بصورة لا تختلف كثيرا عن مثلها لما كانت الامهات يفترشن القش ويلتحفن الجلود في الكهوف والغابات ، وعلينا ان نذكر دائما ان

(1) Elements of Sociolgy , Giddings , p. 240
(2) Outline of Sociology , p. 59

مثل هذه الاخبار الشعرية المتصلة بالحياة المنفعلةالاولى وما فيهامن المواقف المضطربة الهائجة لا تزول من النفوس بل وجد أهل التتبع والاستقصاء مثلا أن الطوائف الامية الجاهلة النازلة بالاصقاع الجبلية المنقطعة في ولايتي « كنتكي » و « تنسي » من الولايات المتحدة يرددون بعض القصائد الطويلة التي أثرت في عقولهم والتي وصلت اليهم بطريق العنعنة من قصص شعرية قديمة حملها أجدادهم معهم الى تلك البلاد من انكلترة منذ ما فروا بدينهم من الاضطهادات · ولما قوبلت هذه القصائد بالكتب التي دونت فيها النصوص الشعرية الاصيلة في اواخر القرون الوسطى وجدت سليمة في جوهرها ولم تصب الا بعطل طفيف في انتقالها على الالسنة والشفاه وسفرها من القلب الى القلب ·

ولا شك ان مثل هذا الدور الحفظي المتوقف على قوة الذاكرة في الشعوب الامية القديمة تناول كنوزها الادبية الثمينة أحقابا قبل أن يتيسر تدوينها ، فقد استيقظت هذه الشعوب على بلابل الشعر تغرد في فجر المدينة فلم يكن لديها وسيلة تدون بها هذا الغناء الفتان سوى طبعه على صحائف القلوب وترديده على الالسنة في الاعياد الخالية كما تدار اسطوانات الحاكي في الحفلات والمقاهي اليوم وحسبي أن أذكر أسماء هذه اللآلىء الادبية الثمينة التي أنارت الظلمة في العصر القديم ليعرف القارىء منها شدة نفوذ الادب ولا سيما الشعر في تكوين الامم والتحكم بسيرتها ، « فالالياذة » « والاوديسه » لهوميروس و « الاعمال والايام » لهزيود وأغاني « الفنيدا » عند الهند والاجزاء الشعرية من العهد القديم ، ثم ما ظهر بعد ذلك من الطرائف النادرة في جزيرة العرب في العصرين الجاهلي والاسلامي قبل التدوين واتخاذ العظام وسعف النخل ورق الغزال اداة للكتابة ، ان هذه الكنوز الادبية الغالية التي هي تراثنا الروحي الخالد يدلنا مجرد ذكرها على سلطان الشعر على الامم المتنوعة من اليونان والرومان وأبناء عمومتهم من الهنود الآريين الى اليهود الساميين ومن دان بالعهد القديم من الامم النصرانية فالعرب وسائر من دان بالاسلام في المشارق والمغارب ·

الشعر العربي

ومع كل التحريف والتلفيق والدس الذي انزله القصصيون والرواة بالشعر الجاهلي فهو بالاجمال مرآة صافية يتجلى فيها مجتمع تلك العصور السحيقة وقد قام بوظيفته في تثبيت الحياة العربية وتأييد الاخلاق الفطرية السليمة ليس في الجزيرة فقط بل في جميع الاقطار التي استولت عليها الجيوش العربية وانتصبت فيها المنابر وارتفعت المآذن · وانك وانت في بلاد الهند أو في القرم أو في التركستان الصينية مثلا لترى في سيرة الافراد وفي مقاييسهم الاخلاقية ما يعيد الى ذاكرتك الشيء الكثير من أخبار الحجاز في جاهليته دع عنك ما فعله الادب العربي الاسلامي بواسطة الدين من المعجزات في هذا المضمار ·

مما يستوقف الانظار ان نخبة من اساتذة الجامعة الاميركية في بيروت قامت منذ حين بدرس بعض الشؤون الاجتماعية في الشرق الادنى ولا سيما في سورية فرأت الفضائل الآتية ماثلة في اهله وهي : ١ ـ الاباء أو عزة النفس · ٢ ـ الوفاء · ٣ ـ قري الضيف · ٤ ـ الميل الفطري للدين · ٥ ـ العطف والمواساة · ٦ ـ الاهتمام بالاعراض وما للمرأة من ميزة خاصة · فمن يقرأ كتيبا في الادب العربي الصميم ياترى جاهليا كان هذا الادب أم اسلاميا أو لا يرى هذه الخصال ظاهرة فيه ظهور الشمس في رابعة النهار ؟ ولعمري ان المرء يستطيع ان ينسلخ من جلده ولا يستطيع ان ينسلخ من تأثير العقل الاجتماعي الادبي حواليه ، وما نحن في الواقع الا سمك يعوم في لجة هذا البحر الذي يحيط بنا من كل جانب ، ولأهون على المرء أن ينكر فعل الاجواء والاهواء والنهار والجبال والوهاد والوديان في جسم المرء من ان ينكر فعل الادب في عقله ·

ويلوح لي ان الجزء العقلي الممزوج في الشعر بالجزء الادبي يكسبه تفوقا ظاهرا على سائر الفنون الجميلة ، ولئن كان التصوير تمثيلا بالخطوط والالوان ، والموسيقى تمثيلا بالانغام والالحان فالشعر تمثيل بالقوافي والاوزان· فالتصوير شعر صامت والشعر تصوير ناطق ·

قال « تيودور وطس » : « ليس في مقدور أحد أن يخط كلمة واحدة في الشعر ما لم يولد من جديد ـ ما لم يهبط من الملأ الاعلى مرة ثانية » ·

« ثم ما هو الفرق بين الشاعر والناثر ؟ أفلا يجوز للكاتب ان يتحلى بشيء آخر غير الشعر ؟ ألا يكون محاربا أيضا كما كان اسكيلوس ، وتاجرا كشكسبير ، ونديم الملوك كتشوسر ، وفيلسوفا خليطا كفوته ؟ بيد انه في اللحظة التي تحل عليه فيها الشاعرية يتعرى من تلك الكسي الدنيويه التي اكتسى بها منذ سنين ، فيزول من نفسه جميع ما للدينا من علم وانانية واستخفاف وطموح، ويصبح طفلا ملهما من جديد باذنين مطبقتين في النغم على تلك الهمسات التي تهب من (العصر الذهبي) ـ لما كانت السعادة باسطة جناحها على هذا الانسان المتعب ـ فينتشر أريجها المنعش في هذه الارض الفاسدة ويطهرها من الارجاس » ·

ولعلماء التربية والاجتماع اهتمام خاص بتاريخ الادب وذلك لانهم يرون فيه ميدانا متسعا لنشر التربية الاجتماعية والتثقيف الفني ، والادب مرآة تتجلى فيها صورة المجتمع ، وتكون هذه الصورة على أحدث طراز ، لان الادب يتوقف في شكله ومادته على الاحوال الاجتماعية المستجدة ، فالشعراء هم اشعر الناس بالطوارىء وقلوبهم أوتار حساسة ، اسرعها الى الاهتزاز برجات الانقلاب

والثورة ، وكما ان الشعر صورة الشاعر كذلك الشاعر صورة المجتمع ، بل الشاعر كما قال الاستاذ «بايندر»(٣) نقطة الاحزان تلتقي فيه جميع الاشعة المنتشرة من الحياة الاجتماعية المضيئة حواليه فيكسبها شكلا فنيا وبيانا لفظيا بما تحلت به شخصيته من الميزات وسواء أكان الشعر غنائيا أم قصصيا ، ارشاديا هجويا أم تمثيليا فنجاحه في التأثير في قلوب الناس يتوقف على الاحوال الاجتماعية التي يعيشون تحت سمائها ٠

والشعر العربي هو مثل الغناء العربي طافح بالحزن والاسى والتوجع والبكاء لانه لا يردد فقط مظالم الانسان من سلب ونهب وانتهاك حرمة وازهاق نفس بل يردد أيضا مظالم الطبيعة من أمراض فتاكة وسيول جارفة ورياح سامة ومجاعات قتالة وما أكثرها في بلاد العرب ٠ والواقع ان للجزيرة العربية طبيعة خاصة في شدة التأثير في النفس واستخراج اللآلىء الشعرية من أعماق الصدور ٠ فالكواكب المتلألئة في سمائها الصافية الاديم استوقف أنظار البدو من أقدم الازمات وجذبتهم حتى كادوا يطيرون اليها من غير جناح ٠ والبوادي الجرداء القاحلة المنتشرة في أرجائها تعد ساكنيها لرؤية الجمال الحي في كل برعمة على أية شجرة كانت من الشجر في الواحة ولو كانت شجر الشوك والبلان ومعاطشها اليابسة المحرقة تولد في الصادىء عند ورودة الماء لذة لا يذوقها المتنغمون بالينابيع والانهار ٠ وحدث لي في أواخر سنة ١٩١٥ – اذ كان الاتحاديون يتتبعون اثري – انني قطعت البادية الموحشة من « تدمر » الى قرب «الميادين» وأنا أعيش على الماء الآسن الاجن الذي كان يزيد في غلتي فلما نزلت الفرات وذقت مصة من مائه العذب صحت بأعلى صوتي « الكوثر ٠٠ الكوثر ٠٠٠ وهذه جنات عدن تجري من تحتها الانهار » ٠ ثم ان الهجرة الشاسعة وفي البيد الواسعة والابتعاد عن المنازل في الغزوات وطلب الكلأ مع رؤية الاطلال والمعالم والآثار وما تحدثه في النفس من الذكريات الماضية والايام الخالية كل ذلك من البواعث الشعرية الخاصة بالجزيرة ٠ وكذلك المنقطع الخائف الجائع الصادي متى وجد بيتا من الشعر نزل به وأهلا أمن بهم تجلى له الكرم « الحاتمي » بأجلى مظاهره فسد البلغة يومئذ – ناهيك بعقر الناقة – يفعل في نفسه ما لا تفعله الولائم في القصور ، وباب الحرم يسدل عليه ليحميه من مطارديه امنع لديه من مدافع الحصون على حدود الدول ٠ وقصارى القول ان مثل هذه البيئة البسيطة الجافة وما فيها من شظف العيش تبرز المعاني الشعرية بثوبها القشيب وهو ثوب الطبيعة الفتان ٠

فقر الغرب في الشعراء اليوم :

يعلل بعض الباحثين فقر الامم الغربية في الشعراء ورغبتها عن الشعر بالمدينة المادية تغوص فيها الى مفرق الرأس ، وعندهم ان وسائل النقل الحديثة وانتشار الاباحية وزوال ذاك البرقع الجذاب عن وجه الانسانية واشتغال الدول بالشؤون الاقتصادية والسياسية وانهماك الافراد في تحصيل القوت الضروري والخلاصة زوال الاحوال الروائية عن ظهر الكرة الارضية كل ذلك من العوامل التي ذهبت برشاقة النظم وقضت على دولة الشعر ، حتى ان جائزة كبيرة عرضت منذ أمد قريب في فرنسا للمجلي في حلبة الشعر فلم يتسابق للحصول عليها أحد ٠ ولكن من حسن الحظ ان الناظمين اذا قلوا فان المستمعين ما زالوا عند حسن الظن بهم ، وفي عقيدتي ان ليس الشاعر من نظم الشعر ولا الموسيقي من وقع الالحان ، بل قد يكون المرء شاعرا وموسيقيا بالفهم والطرب ، ذاك فنان ايجابي وهذا فنان سلبي ٠ والمظنون ان هذه الفترة التي نعانيها في الزهد بالشعر هي فترة موقتة أو سحابة صيف لا تلبث ان تنقشع وذلك عندما نألف محيطنا الجديد المزدحم بالحوادث والسكان فتعود الينا غرائزنا المنفعلة الاولى وتثور فينا مراجل الاضطراب وتسترجع هذه الدنيا السمحة جوها الروائي الجذاب ٠

الشعر والثورة

وقد لا نبتعد عن الصواب كثيرا اذا نحن قلنا ان هذه الانقلابات الاقتصادية المادية التي نعانيها في هذا العصر ليست بمعزل عن الشعر بتاتا بل قد يكون الشعر بمعناه السيكولوجي من ادعى دواعيها ، وسبب ذلك ان هذه الحياة العقلية التي نولد وندب وندرج في أحضانها هي التي يطلق عليها في الاصطلاح العلمي اسم « العقل الاجتماعي » وهذا العقل المتصرف في حركاتنا وسكناتنا لولا اللغة وما انطوت عليه من الادب الرائع ما كان له سلطان على قلوبنا وهو بواسطة ما يحدثه في الافراد من رأي مشترك يسمى « الرأي العام » يولد الثورة ويغذيها ولكن لا شيء أهون على الباحث من اظهار العلاقة المتينة بين المواقف الشعرية والتأثير في « الرأي العام » ٠ فكم من مظلمة ناح من أجلها الشعراء فأغضبت الرأي العام وهاجته ولم تنطفيء جذوة هذا الغضب الا بالثورة ٠ والجمعيات التي مثلت أخطر الادوار في سياسة الامم هي التي عرفت كيف تحرك الرأي العام بما تبثه من الدعايات الشعرية المهيجة وربما استغلت الحادثة الواحدة الطارئة عرضا فأحدثت بسببها الانقلاب المنشود ٠

وقد ذهب « أوغست كونت » في فلسفته الحية الى ان « الفكرة » هي التي تدفع الى العمل ، ولكن الفكرة الجامدة الخالية من الروح – الفكرة الباردة المجردة – لا تستطيع ان تعمل عملا مباشرا بل لا بد لها من أن تكون فكرة منفعلة هائجة أولا ومتزينة بالادب ومتحلية بالشعر لتستحوذ على ارادة الناس ، وان قول تلك البدوية لاهلها في قصيدة تشتكي بها على الاعداء الذين أسروها انهم « ضربوا موضع العفة مني بالعصا » ، ونداء تلك

---

(1) Major social Problems 302

الحضرية مستبحرة بالخليفة في بغداد بقولها «وامعتماصماه» وبيت الشعر الذي قاله المتنبي :

« لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى

حتى يـراق عـلى جوانبـه الـدم »

ان هـذه الاقوال الهائجة وأمثالها أحدثت في العالم العربي من الاضطرابات أضعاف أضعاف ما عمله اقليدس بهندسته وابقراط بامزجته ونيوتن بجاذبيته ورونتجن باشعته ، وقد رأيت المجاهدين من بني معروف في الثورة السورية الاخيرة يقتحمون مدافع الفرنسيين بصدورهم وهم يصيحون باعلى أصواتهم مذكرين الجنرال غاملان بوقائعهم الماضية ٠

« ممدوح وسـامي قبلك

خرجوا من السـويدة »

ثم ما هي كلمات « حرية » و « مساواة » و « اخاء » وغيرها من الكلمات الحية التي قلبت وجه الارض وغطته بالدماء ؟ وهل هناك موقف بهيج كامن الألم أكثر مما ان يرى الانسان أخاه الانسان مكبلا بالاصفاد ومداسا بالاقدام ومساقا للاستثمار كمـا تساق الغنم للذبح ! ان هذه المواقف الشعرية المؤلمة تعمل اليوم في الشرق ما عملته فكرة « الحقوق الطبيعية » في الثورتين الكبيرتين الاميركية والفرنسية ٠

وبديهي ان تكون الافكار حافزة الى العمل ودافعة الى الاضطراب بقدر ما فيها من عناصر الانفعال والتهيج لان ما يفور من القلب كما قال الشاعر « وردورث » يسيل الى القلب ، ومـا دام التصوير والموسيقى والشعر هي الوسائط المعبرة عن أسمى الشعور والفصحة عن أرق الانطباعات المنقوشة على صفحات الصدور — ما دامت هذه الفنون الجميلة مجلى تأثرنا من الطبيعة المحيطة بنا من كل جانب بافراحها واتراحها فهي القوة الاجتماعية الدافعة في المقام الاول ٠ ولئن كان آدم البشر الحقيقي كما قال « منصن » هو أول من عمل آلة استعان بهـا نسله على مكافحة الطبيعة فان حواءهم الحقيقية هي أول من علمت أبناءها أغنية من الشعر أيقظت بها أرواحهم الخاملة ، وكمـا ان خلايـا أجسامنا مؤلفة من العناصر المادية التي تحيط بنا كذلك « خلايا » عقولنا مؤلفة من الحياة العقلية التي أوجدناها ونحن ننمو في وسطها واننا لنستدر الهامنا منها كما يستدر الطفل اللبن من ثدي أمـه ٠

ولقـد أجاد « مونتسكيو » كل الاجادة عندما وصف التفاعل السياسي بين الدولة والافراد بقوله « في طفولية الامم يربي الرجل الدولة ، ولكن في رشدها تربي الدولة الرجل » وكذلك الحال في التفاعل الادبي الروحي ، ففي الحياة الابتدائية تربي العقول دولة الادب ولكن في الحياة الراقية تربي دولة الادب العقول ، لانها تربي الشعراء والادباء والعلماء والحكماء جميعا ، ونحن أبناء محيطنا العقلي كما نحن أبناء محيطنا المادي ٠



خيال في كأس

شعر : الصافي النجفي

تأملت في كأس الطلى وهي في يدي
فـابصـرت آلامي عليهـا تخطط
ولاح شـبابي وهـو شـلو ممـزق
ولـكنه بـالذكريـات محنط
وأبصـرت ندمـاني يضمهـم الثرى
وأسعى بآمـالي اليهـم فأقنـط
كأني في ليـل تعـامت نجـومه
أسـير وفي واد من الشـك أخبـط
فغطت على سكر الطلى سكرة الاسى
وأسرعت الانفـاس تعـلو وتهبط
فكادت هناك الكأس تسقط من يدي
وكادت يدي من جانب الكأس تسقط

أشواك وأزهـــار

ياذكريات حلت لي مع مرارتها
فذكريـاتي أشـواك وأزهـار
يادار كم فيك أسرار وأخبـار
ما كان أجملها لو تنطق الدار
ان كان للافق في عليـائه قمر
فلي على الارض طول الليل أقمار
هي البدور وان سميتها بشراً
لهـا من البـدر أنوار وأعمـار
أسـماؤها كلمـا مرت تهيجني
كأن اسماءها في السمع أوتـار
مرت ليالي الهنا بالوصيل عامرة
وجـاء صد كما لو جاء جزار
عمر الهناء كعمر الورد مختصر
وآخـر الورد آهـات وتذكار

هل ينقرض الشعر ؟ ...

بقلم : الدكتور محمد حاج حسين

لا أعرف أمة تغلغل الشعر في حياتها تغلغله في العرب. ولو تصفحنا مصادر الادب العربي لاوشكنا أن نعتقد أن جميع العرب شعراء ، فالذي لا يقوله منهم لا بد أن يحس به ، ويطرب لنغماته . والواقع أن الشعر العربي مدرسة كبيرة تخرج فيها جميع العرب في مختلف عصورهم منذ جاهليتهم حتى عصرنا ، فالعرب بطبيعتهم حساسون، فامتزج الشعر بحياتهم ، لان مصدر الشعر الأحساس . والعرب يهيمون بالمثل العليا ، ومن الطبيعي أن تتلاقى أقانيم الشعر في نفوسهم، ويجدون فيها انتفاضة الحق والخير والجمال، فاذا مدح الشعراء أراقوا على ممدوحيهم الصور الماجدة التي قدسها العرب ، وهي في جملتها لا تعدو المثل العليا التي ذابوا في حبها من مروءة ونجدة ، وكرم وبطولة وتضحية ، واذا هجوا سلبوا مهجويهم هذه المثل الكريمة، ودمغوهم بضدها . واذا رثوا بكوا هذه المثل السامية ، واذا فخروا غنوا هذه المكارم والمفاخر التي كونت الروح العربية النبيلة .

وهكذا كان الشعر ضمير الامـــة العربية ، ومرتع مشاعرها ، ومجلى تفكيرها.. ومن هنا جاءت هذه القداسة للشعر ، وهذا الاثر الكبير الذي وجه الحياة العربية . ولست بمنكر أن جميع الامم تمجد الشعر ، ولكنني لم أجد أمة أصبح الشعر عنصرا هاما في حياتها مثل العرب . فقصيدة واحدة تقيم الدنيا ، ولا تقعدها.. وقد تغير مجرى التاريخ كالمذهبة للكميت بن زيد الاسدي .

ورد الكميت بن زيد الاسدي المدينة ، ومدح عبد الله ابن الحسن بن علي ، وأعطاه هذا ضيعة ، ورفض الشاعر أن يأخذها لانه كان يمدحهم زلفى الى الله ، فأراد عبدالله أن يستغل الشاعر لاضرام نار العصبية لتحدث فتنة يتسرب من خلالها الهاشميون الى الحكم . فقال له : « ان أبيت أن تقبل فاني رأيت أن تقول شيئا تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث، فتخرج من بين أصابعها بعض ما يجب ».

وكان اليمنيون عدة الامويين، وركائزهم التي يعتمدون عليها في تأييد سلطانهم . ورمى الكميت الى التفريق بينهم لتحدث الفتنة . فعندما قال القصيدة « افتخرت نزار على اليمن ، وافتخرت اليمن على نزار، وأدلى كل فريق بماله من المناقب ، وتحزبت الناس ، وثارت العصبية في البدو والحضر ، فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدي ، وتعصبه لقومه من نزار على اليمن ، وانحراف اليمن عنه الى الدولة العباسية . وتغلغل الامر الى انتقال الدولة عن بني أمية الى بني هاشم ، ثم ما تلا ذلك من قصة معن ابن زائدة باليمن ، وقتله أهلها تعصبا لقومه من ربيعـــة ، وغيرها من نزار ، وقطعه الحلف الذي كان بين اليمن وربيعة في القدم ، وفعل عقبة بن سالم بعمان والبحرين ، وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة كيادا لمعن ، وتعصبا من عقبة بن سالم لقومه من قحطان » (١) .

وهكذا كانت المذهبة رسالة شر استطار في كل مكان ، وبلغت ثلاثمائة بيت . ولم يبق منها سوى بضع أبيات في مروج الذهب ، والاغاني . وأفرغ فيها الكميت كل علمه الواسع بالعصبيات ، ذلك العلم الذي أشاد به الرواة ، فتفنن في سرد نقائض اليمن ، ولم يترك معرة الا ألصقها بهم ، مفتخرا بالنزاريين على طريقة العرب في التفاضل بين القبائل .

هذا مثل على تأثير الشعر في العرب ، لانهم شعب نبيل، والشعر هتفة النبل ، وصرخة الجمال .. فلا غرو اذا

(١) المسعودي : مروج الذهب ١٩٥ .

جنح العرب اليه ، ونهلوا من معينه ، ومما لا شك فيه أن كل انسان يحب الشعر لا بد أن يكون نبيلا متفتح الروح لكل جليل وجميل •

والحق أن كل أمة تمجد الشعر ، وتتذوقه لا بد أن تكون قمنة بالحياة • وانسياقا مع روحانية العرب ، أقبلنا في عصرنا على الشعر بلهفة واعجاب • ولكن ما المستقبل الذي ينتظر هذا الشعر الذي أحببناه حتى أصبحنا نرى أن لا غنية لنا عنه ؟

واذا ألقينا نظرة على الشعر المعاصر لراعتنا كثرة الذين يقولونه ، فهو يملأ الاسواق ، وتجده في كل مكان ، ولكن لسوء الحظ ، أكثر هذا الشعر ممزق الاشلاء ، مبلبل الروح عدمه خير من وجوده • وأصحاب المواهب الشعرية قلة ، وأكثرهم ينظمون على وتيرة واحدة ، ويكررون أنفسهم ، وان كان بعضهم حلق في جو الفن الحي ، ولكن زهرة لا « تشكل » ربيعا كما يقولون •

والواقع أن الشعر في العالم يعاني أزمة شديدة الوطأة ففي أوربا وأميركا انصرف الفنانون لمعالجة الادب عن طريق الرواية ، والقصة ، والمسرحية ، ولم يلمع شعراء كبار استطاعوا أن يعيدوا للشعر مجده القديم ، ويزحموا الروائيين بمنكب عريض •

لقد تنبأ الناقد الفرنسي « جول لوماتر » بانقراض الشعر ، فقال : في سنة الالفين لن تهتف بالشعر قريحة شاعرة •• وكأنه سبر غور الازمة الشعرية بكنه بصيرته، فألقى بنبوءته التي يؤمن بها الكثير •• فالكاتب الانجليزي توماس بيكوك يقول : « والشاعر في عصرنا نصف همجي يعيش في عصر المدنية ، لانه يحيا بخوالجه وسوانحه في عهد الهمجية الاولى • لقد كان الشعر قفزة تنبه الذهن في طفولة الهيئـــة الاجتماعية • ومن المضحك أن نعنى بألاعيب طفولتنا ، فان هذا سخف يشبه سخف الرجل الذي يبكي لينام على رنة الاجراس الفضية » •

بمثل هذه القسوة جوبه الشعر حتى يرى الكثير أنه لا مجال له في هذا العصر الذي يمزق القلق فيه الناس في كل مكان • وهكذا تهيم على الشعر أزمة عنيفة تهدده بالانقراض ليتوارى هذا الفن الجميل الذي يهدهد عواطفنا ويغذي أرواحنا بنداوته وحلاوته • والحق أن الشعر فن بالغ الارستوقراطية ، لا يقرأ الا اذا بلغ درجة رفيعة من التفوق والالمعية • وعندي أن نظرية الكاتب الانجليزي « جون راسكن » التي تقول : « ان الشعر المتوسط يجب أن لا يقرأ » صائبة حكيمة • والجاحظ ذهب بدوره هذا المذهب ، فعنده الشعر المتوسط كالغناء المتوسط كالنكتة المتوسطة لا غناء فيهـــا • وهكذا يلتقي الكاتبان العربي والانكليزي في تمجيد الفن الكامل ، والدعوة الصريحة الى الشعر الرفيع الذي يشدو به العباقرة •

وعندي أن السر في أزمة شعرنا الحديث هو هذه الكثرة من الشعراء الذين يذيعون شعرهم ، ويدبجون دواوينهم، فلا تجد فيها سوى نثرية تقريرية بعيدة عن روح الشعر ، ولا تستطيع أن تتلمس فيها وهج العبقرية الذي يدفعك الى الشعر لتجد فيه المتعة الفنية التي تهز المشاعر •

فالشعر غير النثر، وهو لا يقرأ الا اذا حلق في سماء الابداع، وجاء بالفن البكر الذي ترتوي منه النفس ، وتشرق به انسانيتها ، لا سيما اذا تذكرنا قول ناقد أوربي •• ان الشعر لا يقرأه الا الشعراء • ومعنى هذا أن كل انسان لا يتذوق الشعر الا اذا كان شاعرا في صميمه • وليس من الضروري أن ينظم الشعر بل يجب أن يكون شاعرا في روحه ، ليستطيع أن يتلقى هذا الفيض من الالهام الذي يحفل به الشعر ، ويتجاوب معه حتى يلذه ويتذوقه • فالشعر المتهافت الكسير الجناح يبعدنا عن جو الشعر الحق لانك من العبث أن تجد فيه قبسا من النبوغ يجذبك اليه •

ان أقوى الشعر وأروعه وأشده أسرا وخلودا ذلك الشعر الذي نظمه الشعراء في طفولة الامة ، وفي فجرها الاول لان العواطف والمشاعر حينئذ تكون مفعمة سيالة فطرية ، والعقل طفل يحبو أقرب الى الاحساس منه الى التفكير • وأساس الشعر العاطفة التي تصدره خلابا غلابا •• فيغني الشعراء عواطفهم بسذاجة مؤثرة •• وهل يمكن

للانسانية أن تنتج شاعرا كهوميروس أو شكسبير وغيرهما من العباقرة الذين هتفوا بشعرهم في فجر حياة أمتهم •• واني لاذكر أن الناقد الانكليزي « ماكولي » في دراسته لملتون ، وفردوسه المفقود قد زعم أنه لو تقدم الزمن في ملتون لجاءت ملحمته أخصب وأروع ، ولتفوقت شاعريته الى أبعد حد •

وهكذا طبيعة الاشياء وضعت الشعر في أزمة حتى صور بعض النقاد نهاية بشعة له •• واليوم الذي تصل فيه الانسانية الى هذه النهاية الاليمة •• تكون قد فقدت عنصرا هاما في حياتها لان الشعر في رأيي أسمى فنون القول ، وأشدها أثرا في النفس ، وأقواها أسرا • والشعر بالنسبة للعرب ركيزة هامة في حياتها الروحية • ومن المستحيل أن تنفرد ذاتيتنا عنه لانه امتزج في دمنا ، وخالط شغاف قلوبنا ، حتى أصبح بضعة منا • ومن المؤسف حقا أن يتكمش ، فالصحف لا تفرد له المكان الجدير به ، وليس له ذلك الاثر الذي كان له في عهد شوقي وحافظ مثلا ، فقد كانت الصحف تبشر قراءها بأنها ستنشر قريبا قصيدةلشوقي أو حافظ أو غيرهما•• فأزمةالشعر موجودة عندنا •• وليست عسيرة الحل •• وكل ما يتطلبه الشعر المواهب الفنية الذكية التي تستطيع أن تعيد اليه مجده ، وتسمو به الى الذروة ليعيد سيرته الاولى في حياتنا العربية •• اننا في حاجة دفاقة الى شعراء موهوبين يبدعون الانغام الشاعرة الجديدة التيتتمشى معروحيتنا القوية ، وتنسجم مع تطلعنا الى المستقبل الوضيء الذي نسعى اليه •• ومتى أتيح لنا هؤلاء الشعراء الملهمون نعمنا بوثبة شعرية عظيمة •• كلنا نتوخاها بلهفة •• فلا خوف على الشعر ما دامت قلوبنا تهفو الى الجمال وما دامت عواطفنا تنبض وما دامت أرواحنا في شوق دائم الى الجليل والجميل •

ان أزمة الشعر لا بد أن تنحسر عندما تتجلى ربة الشعر على أبنائها البررة ، وتسكب في قلوبهم الزيت المقدس ، وعندها ينطلق شعراؤنا في ابداعهم القوي ، يغنون حياتنا الجديدة •• ويعزفون على أوتار قلوبهم تلك الاناشيد الحية التي تتفجر بالقوة والعبقرية •• ان تباشير الفجر الجديد تتجلى الآن •• في بعض القصائد التي يهجس بها شعراؤنا الموهوبون •• اننا نسير في الطريق •• ولا بد أن نصل ، لاننا بحاجة الى شعر جديد يجلو فيه الشاعر ذاتيتنا ، ويمجد أشواقنا ، ويجسم آمالنا • ومن المستحيل أن أتصور أن الشعر في طريقه الى الانقراض لانه لا لزوم له في هذا العصر الذري •• انني أرفض هذه الفكرة لاننا نحن العرب سنظل دوما نحب الشعر ، ونطرب له لاننا فطرنا على تقديس الجمال والسمو ، والشعر هو عنوان الجلال والكمال •

والذي أعتقده أن أزمة الشعر ستنتهي حتما • ولن يستطيع الزمن مهما تنكر له أن يطمس أثره ، ويقلل من سطوته •• واننا في انتظار ذلك العبقري الموهوب الذي لا بد أن تتمخض به أمتنا ، ليفرضه على حياتنا ، ويجعلنا نهيم فيه بقوة •• وعندها يصبح مستقبل الشعر ريانا ، وتتجلى عظمته في الاهازيج الخالدة التي تفيض من عباقرة الشعراء الذين ننتظرهم بشوق وحب • فليست أزمة الشعر قائمة على الشعر الجديد ، أو القديم •• انها أزمة مواهب •

محمد حاج حسين

في الليـــل

شعر : الدكتور عبد السلام العجيلي

في الليل اذ تبكي الغيوم على الدروب المقفره
والريح كالثكلى تنوح شـقية متحسره
ثار الحنين اليك من بين الضلوع
لولا الدجى أبصرت في جفني دموعي
ان التي قرعت زجاجك في خضـوع
هي دمعتي ، مرت بأجفـان الرياح الممطره
أو زفرتي ، شهقت بهـا أنفاسها المتبعثره

★ ★ ★

في الليل ••• زهو الصبح قـد ولى وماتت كبريائي
مسكين يـا قلبي المعـذب بـين حبي وازدهائي
مزقت فيما بيننا حجب المـدى
وأرقت أيامي لالقاك غـدا
لمـا التقينا خانني وتمـردا
شوقي الذي أذكته في نفسي اماسي التنائي
وهواجسي ••• أواه لو ألقاك في هذا المساء !

★ ★ ★

في الليل ، أحلامي وأحلام النجوم مضى بهـا
ليل أضاع نجومه في مدلهم سـحابهـا
لم يبق في ليلي ، سـوى شفتيك ، نجم
أو في الجوانح ، غـير أن القاك ، حلم
كـل الهمـوم نسـيتها وأقـام هم
هل ينقضي ليل الحيـاة على انتظـار ايابها ؟
ما أظلم الليل الممض بطوله وغيابهـا ! •••

عبد السلام العجيلي

امرؤ القيس ... والعذارى

شعر : حامد حسن

١

أزف الترحل ، فالمطهمة ، العتاق ، الهوج ، تسرج
والفاتنات الهيف سكرى الدل ، تبسم للمدجج !!
هذي على قتب يدغدغها الهجير ، وتلك هودج
وأطل فرعاها — وما خجلا — على الكفل المرجرج
والناهد البطر ، المكوز ، دائم الوثبات ، أهوج
وظلال أهداب العيون ، حقول أزهار البنفسج
رسمت على الحدقات سطرا ، مبهم الكلمات ، أعوج
وبكل بارقة تطل دنى بفتنتها تموج
والدرب من الق ، ومن عبق ، ومن غزل مضرج

٢

غصت لهاة البيد بالعطرات ، والحادي توغل
أزمازم اللفحات في الصحراء ؟ أم غليان مرجل ؟
لسعته ألسنة اللهيب ، فضج ملسوعا • وولول
وحسان « كندة » جئن بعد الركب ماء غدير « جلجل »
غيد ، رشاق ، عاطرات ، ميس الاعطاف ، عطل
وتكاد من حر الظهيرة ، والصبا المهتاج تشعل
فرمين بالحبرات ، واستسلمن للماء المسلسل
حبب طفا في مرشف الكأس المعطرة المقبل
اما تنظم ، أو تبدد ، أو تساكن ، أو تقلقل
شهب مموجة الاشعة ، بعثرت ، والأفق مخمل
الماء — حتى الماء — يهصرهن مفتونا ، فيثمل
متلألىء القسمات ، صفق للمجانة ، ليس يخجل
ووراءهن فتى يذوب جوى بمخبأه تململ
متواصل الزفرات ، اسفع ، أشعث الفودين ، أعزل
مترقب ، قلق ، فاما لاح منه الظل ، أجفل
شبح ، بمدرجة العراء ، يروغ ••• في حذر تسلل
خطف الثياب ، وعاد يطفح بين جانحتيه مأمل
وأطل من كثب ، وأورد مقلتيه ألذ منهل
فيثور ، والشوق المذيب ، بكل جارحة تغلغل

٣

خرج العذارى من ذراع الماء يثنين الضفائر
أاللاصقات على الترئب ، والمناكب ، والخواصر
والماء يقطر من جوانبها ، كذوب النور ، عاطر
يرفض في الفجوات ، كالاحلام في أجفان شاعر
والشمس تلثم كل مكتنز ، شهي العري ، نافر
••• واذا الفتى يبدو ، ويرسل شدقه ضحكات فاجر
متحفز للوثب ، مشتعل الحشا ، لهفان ، ثائر
فصرخن خوفا ، وارتمين ، ليتخذن الماء ساتر
وانسبن فيه مثلما تنساب في القلب الخواطر

٤

عطفت أميرتهن ، والنهدان في الصدر اشرأبا
يأبى لها الا الخروج اليه عارية •••••• فتأبى
حتى اذا هزأ الخليع ، بكل عاطفة ، وقربى
خرجت ، تعثر بالحياء ، كسيرة النظرات ، غضبى
ترتج ، والجسد العري ، غدا لناظرتيه نهبا

حامد حسن

كبرياء

لا تهجْ لاعج أشواقي التي تتنزّى في فؤادي بالإباءْ
وذرِ الماضي رويداً يمّحي في ضلوع قد رواها الكبرياء
لا تُثرْ آهتيَ الحرّى فما في فؤادي غير آهات الشقاء
يا لبؤس النفس من حيرتها ملأت دربي بشوك ودماء
أو يُنسيني إبائي زمناً كان يحيى القلب فيه بالهناء
كم ترى أقعدني تحنانه عن رؤى مستقبل حلو الصفاء

* * *

لم تزل كأسي تزهو بالمنى والمواعيد ...والوان الرجاء
آه دعني...غاب أمسي و كبتْ ذكرياتي مثل انوار المساء
كبريائي كل زادي ... بعد ان مات حبي في سبيل الكبرياء...

هيام نويلاتي

البطولة والفداء في شعرنا الحديث

بقلم : الاستاذ عمر الدقاق

قد كان في الحياة خير وشر ونور وظلام كانت حرية وكانت عبودية .

وحين أطلق عمر بن الخطاب صيحته المدوية (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) غدا في طليعة رواد التحرر وأعداء الطغيان في أمة العرب .

وقصة العرب مع المستعمرين ملحمة دامية تعاقبت أحداثها الرهيبة على أرضهم ولما تتم فصولا حتى هذا اليوم . وطبيعي في مثل ذلك الجو البغيض أن تومض بطولات رائعة في دنيا العرب وان ترتوى ربوع الوطن الغالي بدماء الشهداء الزكية .

ولما كانت الصلة واشجة بين الادب وبين الحياة والعلاقة وثيقة بين الاديب والمجتمع كان لا بد لتلك الضحايا والبطولات من ان تجد صدى بالغا في شعرنا المعاصر .

وليس شعر البطولة والفداء بالغرض المستحدث في أدبنا المعاصر فهو من أعرق الموضوعات التي عرفها الادب العربي وسائر الآداب الاخرى كما كان محور شعر الملاحم في العصور الغابرة . ولم يكن شعر الحماسة عند العرب في أروع آياته سوى شعر البطولة والفداء ، والتضحية والاقدام .

وقد ورث العرب اليوم عن أجدادهم حب البطولة وتقديس التضحية ـ وراح شعراؤهم يتغنون بأعمال البسالة والاقدام التي أكبروها في معاصريهم وفي أجدادهم على السواء .

واذا كان الجود بالنفس أقصى غاية الجود كما قال شاعرنا العربي فمن الطبيعي أن يهز سقوط الشهداء في ساحات الجهاد وجدان الامة ويلهب قرائح شعرائها .

ومن هنا لم يكن يخلو أي ديوان شعري خلال هذه الفترة الحافلة بالاحداث من قصائد كثيرة تمجد اللحظات الخالدة في مواقف الابطال والشهداء .

ولعل أكبر حدث قدمت فيه الضحايا على مذبح القومية العربية منذ قامت الحرب الاولى كان اقدام جمال باشا التركي على اعدام عدد كبير من أحرار الشام في ساحات دمشق وبيروت . فقد تركت تلك المجزرة الاليمة جرحا بليغا في النفوس ظل يدمي على كر السنين ويهيج قرائح الشعراء حتى يومنا هذا . ففي تلك القصائد امتزجت صيحات الثأر والثورة بدموع الحزن والاسى .

وقد احتفظ لنا رجال الرحيل الاول ومؤرخو الثورة العربية بشذور قليلة من الشعر الحماسي الذي نظمه أو تمثل به أولئك الشهداء في لحظاتهم الاخيرة . من ذلك ما تمثل به باترو باولي وهو يعتلي منصة الاعدام قائلا :

ومن لم يمت بالسيف مات (بحبلة)
تنوعت الاسباب والموت واحد

وفي الطريق من سجن عاليه حين سيق الاحرار الى ساحة الاعدام كان الشهداء يرددون هذين البيتين من سيارتهم المقفلة بصوتهم الهادر :

نحن أبناء الألى شادوا مجدا وعلى
نسل قحطان الأبي جد كل العرب

وقد عمد أبو الفضل الوليد الشاعر المهجري بأسلوبه الحماسي وألفاظه الجزلة الى تخليد ذلك الموقف في عدد من قصائده دون أن تبدو منه بادرة ضعف أمام القدر ، أو استسلام للدموع . فهو يناجي أرواح الشهداء بقوله :

مشيتم باسلين الى المنايا
وكان لكم على النطع ابتسام
ليحي العرب قد صحتم ومتم
فصيحتكم لخطتكم دوام
ورب ضحية أحيت شعوبا
فكان لها انعتاق واقتحام

وما زال الشاعر العربي حتى هذا اليوم يشعر بأثر ذلك الجرح البليغ ، وتفيض قريحته نحو قافلة الشهداء وبطولتهم على الاعواد بأصدق ا لشعر . فبرغم انقضاء أكثر من أربعين عاما على تلك المأساة يناجي نصرة سعيد صاحب شموع الكهف ذلك الركب الشهيد بقوله :

ساند الحق يوم ديس هضيما
ناهض الظلم يوم ظن وطيدا
في انخفات الاصوات دوى زئيرا
تحت ضغط الاغلال ثار جليدا
غيبته يد الفناء رفاتا
فاحتواه صدر الخلود مجيدا
ويقينا لو أن موطنه احتاج
اليه لمات موتا جديدا

وهكذا فان أكثر من رثوا هذه القافلة الاولى من الشهداء العرب اتجهوا الى ابراز عظمة التضحية التي قدموها وروعة البطولة التي تحلوا بها ولم تجد نغمات اليأس بصورة عامة مكانا في تلك القصائد . وما كان الشعراء آنذاك الا صدى واعيا لما تجيش به نفوس العرب من تحضر وانطلاق نحو الثورة العربية الكبرى التي لم تلبث أن اشتعلت في أرجاء الشرق العربي .

على أن شهداء أيار لم يكونوا الا الطليعة لقوافل الشهداء المتتابعة فوق أديم هذا الوطن . اذ ما كاد الاجنبي يطأ سائر أرض العرب حتى أخذ الاحرار يتساقطون صرعى أمام قوات البغي وكانت معركة ميسلون واستبسال حاميتها مع قائدهم ، مثلا أعلى للبطولة خلد أصحابها في سفر نضال الشعوب وجعل منهم منارا للنفوس المتحضرة نحو التحرر .

ولم يكن كثير من الشعر الذي قيل في يوسف العظمة بطل ميسلون وصحبه شعر رثاء وتفجع بقدر ما كان شعر حماسة وثورة تهب من ثناياه نفحات البسالة والاقدام من ذلك ما قاله الياس فرحات من مهجره :

كأنهم رأوا في الفر عارا
فكروا بالمنية يحتمونا
رأوا في ميسلون الموت مجدا
فماتوا دونها مستبسلينا

أما يوسف العظمة وزير الحربية ورائد الشهداء ضد جحافل غورو فقد غدا في نظر الشعراء وسائر الناس بطلا خالدا فتحت له القلوب وانطلقت بتمجيده الحناجر . فهو أول سد أقيم في وجه الاستعمار .

وقد صور أمير الشعراء شوقي وقفته الملحمية الخالدة بقوله :

شهيد الحق في ثبج الصحارى
تخاف العاصفات له ذبالا
مقيم ما أقامت ميسلون
يذكر مصرع الاسد الشبالا
مشى ومشت فيالق من فرنسا
تجر مطارف الظفر اختيالا
فكفن بالصوارم والعوالي
وغيب حيث جال وحيث صالا

ومما يشير الى المدى الذي أثاره استشهاد بطل ميسلون في قرائح الشعراء أن أبا الفضل الوليد صعق بالنبأ فور سماعه بالفاجعة فانكب على نظم قصيدته المطولة التي أسماها (الشهادية) في جلسة واحدة لم يدع خلالها القلم من يده الا بعد أن أنجزها وكانت قد بلغت مائة وثمانية وستين بيتا . وهكذا غدا شهيد ميسلون موضوعا بطوليا ساميا نسج حوله الشعراء هالة ملحمية من معاني التضحية والفداء والخلود .

ولم ينجل غبار الثورات القومية المتعددة في الشرق العربي الا عن أشلاء الضحايا الممزقة وجثث الشهداء المبعثرة في مصر والعراق وسورية وفلسطين وفي كل شبر من الوطن العربي . وقد تجلى ذلك في أروع الشعر وأصدقه .

وربما كان موضوع أبطال الثورة السورية وشهدائها من أهم الموضوعات التي حظيت بعناية الشعراء سواء ما

كان منهم في الشام نفسها أم في سائر أقطار العرب •

فقد انبثقت الثورة السورية من جبل العرب عام ١٩٢٥ عن بطولات فذة أذهلت الاعداء وكانت خير وقود للشعور القومي النازع نحو التحرر • ومما انتزع الاعجاب آنذاك تصدى سلطان الاطرش وجماعته من الدروز لمصفحات الفرنسيين بوثبة جريئةشلتحركتها• وكان ذلك في وقعة (ميشو) المظفرة التي تغنى بها الشعراء • وقد صور شاعر المهجر الياس قنصل وثبة سلطان العبقرية بقوله :

وأرعد (تنك) الغاصبين مهددا
فما زدت الا جرأة حين أرعدا
وقابلته والنار فيه مكافحا
الى أن غدا سبط الحديد مجعدا

وقد تناول الشاعر القروي الموقف البطولي الذي وصفه قنصل واستطاع أن يسمو به الى حد ملحمي رائع ارتسمتحوله هالة من البطولة الخارقة لم يستوحروعتها من خياله بل أمده بها الواقع ذاته فراح يخلد موقف فتى الهيجاء بشعر يذكرنا بقصائد المتنبي في معارك سيف الدولة :

خففت لنجدة العاني سريعا
غضوبا لو رآك الليث ريعا
الم يلبس عداك (التنك) درعا
فسلهم هل وقى لهم ضلوعا
أغرت عليه تلقى النار بردا
ويرميها الذي يرمى هلوعا
فطاشت عنك جازعة ولو لم
تهش لها لحاولت الرجوعا
ولما صرت من مهج الاعادي
بحيث تذيقها السم النقيعا
وثبت الى سنام التنك وثبا
عجيبا علم النسر الوقوعا
فخروا فوق ظهر التنك صرعى
وخر التنك تحتهم صريعا

ثم تعددت الوقعات وتساقط معها الشهداء • وكان مصرع كل شهيد حافزا علىقول أصدق الشعر وأشده حماسة •

وحين سقط فؤاد سليم شهيدا في يوم (مجدل شمس) ابان ثورة السوريين على فرنسا أيضا رثاه عدد من الشعراء بينهم خير الدين الزركلي اذ قال :

قضيت حق العوالي
وأنت تقاد جندك
عملت للمجد حتى
أدركت بالموت مجدك

ومن آيات البطولة التي انبثقت من صميم الجماهير في سورية من خلل جمرات تلك الثورة رجل لم يعرفه الناس الا باستشهاده انه حسن الخراط الذي ضرب لقومه مثلا خالدا في الاقدام • وقد خصه محمد البزم بمطولة قال فيها :

يامؤثر الموت في انقاذ موطنه
ركبت صعبا فلا لاقيت خذلانا
سيرت ذكرك في الآفاق
جوانب الجو أفراحا وأحزانا
وليس عندك من مال ولا عدد
الا العزائم قد مثلن ايمانا

وكان استشهاد احمد مريود باعثا على نظم قصائد كثيرة نسجت من واقع ملحمته • اذ أنه حين بوغت بالجند من حوله وهو في أحد بيوت (القرية) منمعاقل الدروز أبى أهلها أن يسلموه فما كان منجيشالاحتلال الا أن هدد القرية كلها بالتدمير فوق أهلها • وحينئذ لم يجد الاسد بدا من أن يخرج من عرينه مع نفر ضئيل ليلقوا وجه ربهم • ومن عجب ان الفرنسيين ازدهاهم هذا النصر فجعلوا يعرضون جثة الشهيد في دمشق ليرهبوا أهلها ويلقوا الخوف في نفوسهم • وفي ذلك يقول خير الدين الزركلي :

اقبلوا يحملون أحمد وضاح
المحيا مضرج السربال

شهد الله أنهم حملوا موئل

مستصرخ وليث صيال

ثم يشير الزركلي الى خروجه لملاقات الفرنسيين بقوله :

شق جنح الظلام يمشي اليهم

رابط الجأش مشية الرئبال

قائلا للحياة : غيري غرى

قائلا للنعيم غيري وال

وقدصور أمجد الطرابلسي بأس قومه وصمود شعبه كالطود في وجه الاحتلال أثناء الاضراب الخمسيني بقوله :

كل يسير الى الامام مشمرا

وقد استعد لان يعود شهيدا

وعتاده قطع الصفا لكن في

ايمانه ما يصدع الجامودا

وفؤاده بين الاضالع شعلة

حرى تشع عزيمة ووقودا

شهداء مثل الزهر في أكمامه

كانوا على ظلم القوى شهودا

سقطوا أمام بيوتهم وسطالحمى

صرعى فما حفلوا لظىوحديدا

وقد تجاوب العربفيشتى أقطارهم مع آلام السوريين ومطامحهم وظهر ذلك جليا على السنة شعرائهم نحو قصيدة أحمد شوقي التي يصور فيها آيات التضحية والبطولة في مقاومة المستعمرين بقوله :

دم الثوار تعرفه فرنسا

وتعلم أنه نور وحق

بلاد مات فتيتها لتحيا

وزالوا دون قومهم ليبقوا

وللاوطان في دم كل حر

يد سلفت ودين مستحق

وللحرية الحمراء باب

بكل يد مضرجة يدق

أما فلسطين مهد عيسى ومسرى محمد ومبعث سائر النبوات فقد كانت أرضها الطاهرة موئل الجهاد الدائب والصراع الدامي • وكم سقط في أتون معاركها من شهداء وكم نبت في ثراها المقدس من بطولات • منذلك ما شهدته تلك الديار في أحد أيام حزيران **١٩٣٠** الذي كان يوما أغر في سفر التضحية والفداء اذ صدر حكم الاعدام على ثلاثة من أحرار فلسطين في اثر ثورة **١٩٢٩** فكان التكبير على المآذن وقرع النواقيس في الكنائس يتجاوب صداهما في أرجاء فلسطين قاطبة • وفي ذلك النهار نفذ حكم الاعدام بالشهداء الثلاثة في ثلاث ساعات متواليات • وكان من المقرر رسميا ان يكون الشهيد عطا الزير ثانيهم ولكن محمد جمجوم حطم قيده وزاحم رفيقيه على الدور حتى فاز ببغيته •

وهنا يأخذ شاعر فلسطين ابراهيم طوقان ريشته ليصور هذا اليوم المخضب بالدماءأروعتصوير وليسجل في شعره الوطني الخالد مصارع أولئك الشهداء فتكون « قصيدة (الثلاثاء الحمراء) التي القاها في حفل حاشد فذهل عن الجمهور وشعر كأنما خرج من لحمه ودمه فكان يلقي بروحه وأعصابه وما انتهى حتى كان بكاء الناس يعلو نشيجه » •

وقد انطق الشاعر طوقان عن طريق الرامز الساعات الثلاث الرهيبة التي نفذ خلالها اعدام الابطال متتابعين فكان مما قالته الساعة الاولى على لسان بطلها :

أنا ساعة النفس الابية

الفضل لي بالاسبقية

أنا بكر ساعات ثلاث،

كلها رمز الحمية

عاشت نفوس في سبيل

بلادها ذهبت ضحية

أما الساعة الثانية ساعة اعدام محمد جمجوم الذي تخطى زميليه نحو المشنقة فقد قالت :

بطلي يحطم قيده

رمزا لتحطيم القيود

زاحمت من قبلي
لاسبقها الى شرف الخلود
وقدحت في مهج الشباب
شرارة العزم الوطيد

أما الساعة الثالثة فقد قالت عن بطلها :

أنا ساعة الرجل الصبور
أنا ساعة القلب الكبير
بطلى أشد على لقاء الموت
من صم الصخور
جذلان يرتقب الردى ،
فأعجب لموت في سرور

أما قصيدة « الشهيد » لابراهيم طوقان فقد حظيت بمكانة لا تداني في شعرنا المعاصر اذ التمعت بوادر الشرر من قوافيها فكانت آية في شعر البطولة والفداء :

عبس الخطب فابتسم
وطغى الهول فاقتحم
رابط الجأش والنهى
ثابت القلب والقدم
لا تقل أين جسمه
واسمه في فم الزمن
انه كوكب الهدى
لاح في غيهب المحن
أرسل النور في العيون
فما تعرف الوسن
ورمى النار في القلوب
فما تعرف الضغن
أي وجه تهللا
يرد الموت مقبلا
صعد الروح مرسلا
لحنه ينشد الملا
أنا لله والوطن

ولا يضارع هذه القصيدة في مضمار البطولة والفداء الا قصيدة أخرى للشاعر نفسه تعتبر صنوالها وبلغت من الشهرة ما بلغتها تلك هي قصيدة (الفدائي) وقلما عثرنا في الشعر العربي على قصائد مماثلة تحمل هذا العنوان وتعالج موضوع الفدائي ، ولا ريب أن طوقان استمد هذا الموضوع أيضا من بيئة فلسطين ومن واقع أحداثها فكانت تجربته أصيلة عميقة حية ، ومن جهة أخرى نلمس في (الفدائي) ما لمسناه في قصيدة الشهيد السابقة من انطلاق الى الجو البطولي الشامل برغم أن المناسبة نفسها شديدة التخصيص والتفرد فهي ترتكز الى أن أحد شبان فلسطين المتحمسين عقد العزم على اغتيال يهودي بريطاني سام العرب الاهوال فكمن له وأطلق النار عليه فكانت قصيدة طوقان تخليدا لعزيمة ذلك الشاب الفدائي ومنها قوله :

لا تسل عن سلامته
روحه فوق راحته
بدلته همومه
كفنا من وسادته
يرقب الساعة التي
بعدها هول ساعته
شاغل فكر من يرا
ه باطراق هامته
بين جنبيه خافق
يتلظى بغايته
من رأى فحمة الدجى
أضرمت من شرارته
حملته جهنم
طرفا من رسالته
هو بالباب واقف
والردى منه خائف
فاهدئي ياعواصف
خجلا من شجاعته
صامت لو تكلما
لفظ النار والدما

قل لمن عاب صمته
خلق الحزم أبكما
وأخو الحزم لم يزل
يده تسبق الفما
لا تلوموه قد رأى
منهج الحق مظلما
وبلادا أحبها
ركنها قد تهدما
وخصوصا ببغيهم
ضجت الارض والسما
مر حين فكاد يقتله
اليأس ... انما
هو بالباب واقف
والردى منه خائف
فاهدئي ياعواصف
خجلا من شجاعته

وفي عام النكبة ازدحمت جموع المجاهدين على ثرى فلسطين المقدس وتضرجت الارض الطاهرة بدمائهم الزكية ، وكان لمصرع بطل القسطل عبد القادرالحسيني رنة أسى عميق في قلوب العرب عبر عنها صديقه محمد العدناني صاحب ديوان اللهيب بقوله :

أرخص الروح ذائدا عن حماه
بصيال أطار لب اليهود
شق للقسطل المنيعة دربا
عبدته عزيمة الصنديد
قد تلاشى الابطال بين يديه
كتلاشي الاحلام بعد الجهود
وقضى النحب مثخنا بجراح
بعد أن دك كل خصم مريد

وكانت أبيات عمر يحيىصورةحية لاستبسال الاحرار في فلسطين ذودا عن حريتهم ودفاعا عن وطنهم •

آثر على كر الزمان مثول
مهج الشباب على الصليب تسيل
تلك الضحايا لم تكن الا صوى
فيها للطلاب الحياة دليل
لا يسلمالشرفالرفيع من الاذى
حتى تروع قذائف وصليل
ولكم شهيد بالدماء مضرج
لبى فسار على هداه قبيل

ثم يستيقظ العرب ذات يوم على صوت رصاصات غادرة سقط عدنان المالكي بعدها قتيلا فلم يزدادوا الا عزما وتصميما •

وأشعل مصرعه شرارة العزم الوطيدفيالنفوسوكانت قصيدة سليمان العيسى التي يقول فيها :

بقع من نجيعنا تشعل النور
ويأبى لنا الخلود انطفاء
لوح الليل أنه سوف يبقى
ففرشنا درب الضحى شهداء
دم عدنان ، والملايين ظمأى
لم يفجر الا ليسقى الظماء
فارس الساح هل اناديك
والميدان يهفو،وما برحتالدجاء
يوم لبت من ذرا جبل النار
على الموت ذروة عسراء
وتخطيت وابلا من رصاص
لا يزيد الصقور الا بلاء
وبيمناك راية لخص التاريخ
فيها بطولة وفداء

وتهز البطولة شاعرا من فلسطين ما زال جرحه في وطنه نديا فيرى في انهيار هذا الطود القومي ما يزعزع أمله في استعادة وطنه السليب ذاك هو عبدالكريمالكرمي اذ قال مناجيا روح الفقيد

أيها النسر هذه الربوة الخضراء تدعو وظلها ممدود
والمروءات في الجوانب آي والبطولات في الدروبورود
الميادين في انتظارك ياعدنان مشبوبة اللظى والجنود
وفلسطين تسأل الراحم الفادي أما آن أن تزول حدود

فتحت صدرها تناديك وخفت سهولها والنجود
ترقب الافق كل صبح عساه يتراءى لواؤك المعقود
كيف ننسى دما يضيء لنا الدرب وتمضي على سناه الحشود
كنت رمزا للجيش والجيش رمز الشعب والشعب خالد لا يبيد

ولم يكن شعراء الشرق العربي بمعزل عن نضال اخوانهم في الشمال الافريقي حيث كانوا يقاومون شر أنواع الاستعمار بضراوة • وحين وقع بطل المغرب عبد الكريم الريفي في قبضة الغزاة •

وكان ممن ملؤا الاسماع بسالة ناجاه محمد الضراتي بقوله :

ان يأسروك فانهم لم يأسروا
الا الهزير الاغلب المرهوبا
لا تأس فالتاريخ يحلف جاهدا
بالله انك لم تكن مغلوبا

كما وقع عمر المختار في قبضة الطليان وكان شيخ السنوسيين ورأى المجاهدين في طرابلس الغرب ولم يكن من اعدائه الا أن بادروا الى شنقه بعد تعذيب مرير • وقد هز مصرعه القاصي والداني وهاج قرائح الشعراء في كل مكان •

وكانت قصيدة شوقي فيه يومذاك درة تلك القصائد فهو لم يذرف الدموع عليه وانما وجد فيه مثلا أعلى للبطولة ومنارا هاديا للشعوب •

ركن دار فاتك في الرمال لواء
يستنهض الوادي صباح مساء
ياويحهم نصبوا منارا من دم
يوحي الى جيل الغد البغضاء
جرح يصيح على المدى وضحية
تتلمس الحرية الحمراء

وتشاء ارادة الشعب الحر في الجزائر ، ان تندلع في سفوح الاهراس ثورة لاهبة تلفح المستعمرين بسعيرها وتتوهج في تلك البقعة العربية بطولات خارقة أذهلت العالم وكانت منارا للشعوب المتطلعة نحو الحرية واذا الشعر يقبس من جذوة الجهاد وتغدو قوافيه حمما ملتهبة طافحة بالعزم مفعمة بالحماسة وها هو ذا سليمان العيسى وقد أذهلته بطولة جميلة الخارقة يقول :

أين مني عينان خلف جدار السجن مكحولتان بالكبرياء
وجبين والف نجمة صبح لألأت فوق جرحه الوضاء
وفم تعجز الحروق وتعيا فيه عن محو بسمة زهراء
أي سر هزت به الشفة السمراء قلب الدنيا بغير نداء
أتراها في السجن قديسة الصحراء تطوي جراحها في حياء
وهم المجرمون لن يطفئوا الشمس بارهاب غيمة سوداء

واذا حاولنا ان نستقري ما نظمه الشعراء المعاصرون في موضوع البطولة والاقدام فاننا نلمس عنايتهم باستيحاء البطولات الخالدة من خلال تاريخ العرب الحافل •

وكما وجدوا في الشهداء والابطال المعاصرين مادة غزيرة يغذون بها الشعر القومي وجدوا أيضا في بطولات الاجداد من الخلفاء والقواد والفاتحين معينا لا ينضب • من ذلك القصائد التي نظمت تمجيدا لعظماء العرب في التاريخ كأسامة بن زيد وطارق بن زياد وصلاح الدين الايوبي وسواهم من الابطال العظام ونمثل لذلك بملحمة محمد لعمر أبي ريشة وبعمرية حافظ ابراهيم وعلوية أحمد محرم وخالدية أبي ريشة ••

وقد وجد الشعراء المحدثون في غابر امتهم ومآثرها في الفارسية واليرموك وحطين وسواها
ما ألهم قرائحهم وألهب شاعريتهم

وقد شغلت مراثي الزعماء والعظماء خيرا كبيرا في دواوين الشعراء في هذا العصر • « واذا كان الشاعر القديم يرثي الفقيد مرة أو مرتين فان الشاعر الحديث قد اتخذ لنفسه سنة جديدة وهي رثاء الفقيد في يوم ذكراه من كل عام • وانما جاءته هذه السنة من محاكاته للصحف فقد كانت الحركة الوطنية بحاجة دائما الى من يلقى في أتونها الوقود بين الحين والحين ليزداد الاتون لهبا فتزداد المشاعر قوة • وكان موت عظيم أو زعيم يقع من النفوس موقعا أليما ويزيدها بالوطن تعلقا واليه تلهفا وحنينا » •

ولهذا كثرت قصائد الرثاء كثرة بالغة لدى الشعراء

المعاصرين ذوي النزعة الاجتماعية وفيهم حافظ ابراهيم الذي قال :

اذا تصفحت ديواني لتقرأني
وجدت شعر المراثي نصف ديواني

وما ازدياد شأن هذا النمط من الرثاء الا نتيجة لارتباط الادب المتزايد بحياة العرب بحيث أن جانبا كبيرا منه أخذ يشكل ظاهرة قومية بارزة في أدبنا الحديث .

وطبيعي أن يبقى كثير من شعر الرثاء الطافح بالنواح بعيدا عن هذا الطابع القومي وأن يتحلى أيضا بهذه الروح القومية كثير من الشعر الذي قيل تمجيدا لمآثر الاحياء وبطولاتهم .

ومما يلاحظ في هذا المجال أن عامل الزمان المتقادم باطراد على أعمال أولئك الافذاذ كان يساعد على ارتسام هالة واسعة حولهم من البطولة والجلال . ربما كان مبعثها الوفاء لذكراهم والاعتراف بفضلهم . وقد يكون الباعث الاول على ذلك أيضا ميل الفنان بصورة عامة الى اتمام الصورة الواقعية التي يسعى الى رسم ملامحها ، من فيض قريحته وذوب مشاعره . ولعل الشعر من أكثر الفنون قبولا لهذه الظاهرة واتساما بها .

وثمة مظهر آخر لشعر البطولة والفداء في أدبنا المعاصر يدل على ظاهرة ايجابية انسانية . فمع أن حياة العرب في حاضرها وماضيها حافلة بالبطولات الفذة والامجاد المخضبة بالدماء فان استغراقهم فيها لم يقعد بهم عن تعشق البطولة واستجلاء آياتها أينما وجدت ولو كانت في قوم غير قومهم وأرض غير أرضهم .

فقد انتزعت بطولة أحد جنود الحرس الفرنسيين اعجاب خير الدين الزركلي فصاغها في قالب قصصي ملحمي وراح يصور هذا الحارس بقوله :

لم يرعه في ظلمة الليل الا
وقع أقدام داهم يتحدر
فيلق اثر فيلق جاء يسعى
في ظلام الليل البهيم تنكر
نبه القوم فاستطاروا خفافا
صاح فيهم فأستقبلوه فأنذر
قال ياقوم يمروا النهر الادنى
فان العدو ان حل دمر
فاذا بالخيام لا حي فيها
واذا الديدبان لم يتقهقر
ويد كالحديد حلت عليه
ثم قادته صاغرا فتصبر
سألوه عن جمعه أين ولى
فأضل القوم السبيل وحير
كذبوه وأبصروا النهر فانهالوا
عليه ضربا وجلدا فأنكر
حاولوا خوضه فقالوا هلم
انزل اليه فالغور بالخوض يسبر
همسوا بينهم لئن فاز خضناه
والا فنحن بالعود أجدر
وقف الحارس الامين وقد فكر في أمر قومه وتدبر
ثم القى بنفسه يوهم القوم بأن السبوح في النهر يغمر
فاختفى عنهم وقد خفض الرأس وظلت آثار كفيه تظهر
خاطب النفس وهو في لجج الماء وفي قلبه اللظى يتسعر
ان اردت البقاء خاضوا الينا
وابتغوا معشري بكل مضمر
أو اردت الفناء هالهم الماء
فكفوا وتابعوا المسير في البر
حبذا الموت في سبيل قبيلي
انما المرء من يموت فيذكر

وكان في عداد البطولات التي نالت اعجاب الشعراء العرب لدى الشعوب الاخرى ما تحدثت به الصحف ابان نضال الارلنديين ضد بريطانيا من أن فتى ايرلنديا أقسم ليموتن جوعا أو يتحرر وطنه . ولقد بر بقسمه وفي ذلك قال خليل مردم

أبى رق الحياة فمات حرا
وأبلغ نفسه في ذاك عذرا

وأقسم لا يـكون حمـاه نهبا
مبـاحا أو يمـوت طوى فيبرا
بميتته رأى احيـاء شـعب
فـأيقن أن بعـد العسـر يسرا

ومـع أن علي محمود طـه عرف بعزوفه عن الشعر القومي فقد هزته بطولـة ستالنغراد في الحرب الاخيرة وما كان منها من ضروب البسالة والاقدام ولم يفته أن يكبر بسـالة فتيـان الفولغا ليجعل منهم مثلا حيا لشبان النيل ومما قاله يومذاك :

كم من أخيل فيهم لـكنه
رد المغـير بـه وفـك حصـار
لم تجر ملحمة بوصف كفاحه
لـكن جرت بدمائه الانهـــار
اني رفعت بـكم مثـالا رائعـا
يومـا اليـه في العـلا ويشـار
لشباب مصر وهم بنـاة حياتها
وحماتهـا ان حانت الاخطـــار

ومن هـذا القبيل ـ أي من مظاهر اعجـاب الشعراء المعاصرين ببطولات الشعوب الاخرى ما نظمه عمر أبو ريشة في جان دارك التي غدت بطولتها اسطورة للاجيال كافة :

ولنستمع اليه يحكي لنا قصة بطولتها الفذة وما آلت اليه من مصير رهيب :

وقفت تصلي هيبـة
والنفس خاشعة كئيبة
وصليبها القدسي يرمقها
بنظـــرات رهيـــه

مضت الليالي مثلما الاحلام في أجفان نائم
فاذا البتول على جواد مثل جلد الليل فاحم
وأمامها علم البلاد مموج الجنبات باسم
ووراءها جيش من الفرسان مشدود العزائم
نادت بفيلقها البتول وهز ساعدها المهند
وعدت الى حرم الجهاد السمع بالعزم الموطد
فتلاحم الجيشان فاندلع اللظى والهول أرعد
هذا يفر وذا يكر وذا يكب وذاك يصعد
هوت البتول المستميتة في يد الاعداء غدرا
فمشوا مجوسا يحملون بتولهم للنار نكرا
ورموا بها وتجمعوا من حولها تيها وكبرا
أخذت تصعد روحها في قبضة النار المهيبة
وأمامها غشى طيوف الخلد في حلل قشيبه
فبدت تصلي للصليب صلاة فائزة طروبه
فاذا به ما زال يرمقها بنظرات رهيبه

وهكذا كانت آيات البطولة تهز الشاعر العربي حيثما كانت وأني ومضت فالقومية المتفتحة ترى في كل قومية مناضلة حليفة لها وفي كل بطولة خارقة نبراسا لكفاحها ولا يضعف من عظم التضحية أن تتسم بكونها فرنسية أو روسية أو ايرلندية وليس للبطولة وطن •

وبعد فهذه ملامح وصور من شعـر البطولة والفداء في شعرنا الحديث كان الباعث الاول على نظمها تجاوب المواطن العربي مع هذه النماذج البشرية الرائعةوتعطش الوجدان القومي الى مثل هذا الوقود الروحي لمشاعره الوطنية المتنامية •

ولعل من أبرز ظواهر اهتمام الشعراء بهذا الموضوع ووحيهم على تصوير جانب التضحية والفداء في النفس العربية والانسانية على السواء ما يصدرون به دواوينهم في غالب الاحيان من اهداء حار وصادق يزجونه الى تلك الدماء الزكية والارواح الطاهرة والبطولات الخالدة •• وكأنهم في ذلك انما كانوا يردون ذوب مشاعرهم وزبدة قرائحهم الى من أوحى اليهم بأسـمى العواطف النبيلة ومن ألهمهم أروع آيات الفن الرفيع •

وستبقى هذه القصائد الحارة والقوافي النابضة ذخرا حيا للاجيال العربية الصاعدة محمولة على أجنحة شعرنا المعاصر الى أسمى مراتب الخلود •

حلب ـ ١٨ حزيران ١٩٦٠

عمر دقاق

نجمة الصبح

شعر : عبد المطلب الامين

نجمة الصبح يا حطام الليالي ورماد اللفافــة السوداء
خلفتك الظلماء عقباً ذليـلاً تحت اقدام كـبرياء الضياء
انت للنائمين اشـراق صبح ولعيـني هجعة الظلـماء
خالك الناس كالبداية عتقاً واتقاداً في قبــة الجوزاء
وارى فيك من نهايـة عمري ذلة الأوب وانكسار العزاء

* * *

انا في الموكب الميمم عبء ضاع بـين الإباء والإعياء
وعلى مفرق الطريـق التقينا يا لبؤس الذكرى وذل اللقاء
فاذا موكب الحياة ابتــداء واذا بي في وحشة الانتهـاء

* * *

جرني الكأس للحياة فأدمى قدمي البكر بالسرى والعياء
انا لولاه مقعد في ســرابي واسير لوحدتي وانزوائي
لامني الناس في رفاقــة كأسي يحرمون الاعمى عصا الاهتداء
ويرومون ان اغني واشدو في زوايا مقابر الاحيــاء
انت نايي يا كاس والنغم الحلو عطاء من كفك الخرســاء
انت حطمتني وسقت حياتي في دياجير هــذه الظلماء
انا لولاه جذوة من طموح لم تسعها مــدارج العلياء
ثم ماذا ... اخون فيك صديقي وسميري وسلوتي وعزائي ؟
لا وعينيك ايهـا السم فافتك بالسقيم المنهوك من احشائي
اعوزتني صداقة الناس فاملأ بحطام الاوهام فقر فضائي

« احبك »

شعر : فؤاد العادل

احبك تسبيحة في صــلاة !..
ولحنا على شفــة النعميات ،
وارجوحة من خيوط المـــنى
تطوف على شـــرفات السنا ،
ولحظاً عليه شـــراع الهوى
استحم بزرقتـــه وارتوى !..
وخداً يجاذب شكوى الشفق ،
ويغري رؤى ليلنا بالارق !..

★ ★ ★

احبك جيدا ، ونهــداً عنيدا
ودنا يرقرق ســكراً جديدا ،
وارصــد في غمزات الجمـال
حنين العطاشى وشـــح الرمال
وثغراً تمطت عليه القبــل
وحنت اليــه شفاه الأزل !.:

★ ★ ★

احبك في الروح في الخاطــر
وأحيا بماضيك في حاضــري
وتهفو خطى شوق روحي اليك
كأن خيوط مناها لديك
فمدي وراء البعاد السحيق
وشاح التشاويق عــبر الطريق
ومن الف ذكرى انسجي لي رواق
لأطوي اليك حدود الفراق

★ ★ ★

احبك في بوحك المبهم
وايماءة الجفن للمبســم
واهواك انك انت الخــلود
وانك كنت ، فكان الوجود
ويسكب قلبي ، هواك وحــي
على كل ناي ، وفي كل درب !..

دمشق ــ فؤاد العادل

النشيد الاول

قبل المأساة (١)

شعر: محمد الجنيدي

لكأن الزمان حجر في أرض بلادي أيامه والليالي
بسمات الشروق كالورق الاصفر ترمي بها أكف الزوال
وقلوب الضياء كالحشف البالي على متن يابسات الدوالي
ويلوح الانسان كالطلل الدارس ، كالمومياء ، كالتمثال ...
فكأن الحياة ذكرى بعينيه ، وفي وجهه ، بقية آل
ضاع عنه الطريق ... ضاع فما يبصر غير الضباب ، غير الظلال
وسرى الشك في تلمسه الاسود يلقي السؤال تلو السؤال
وبيمناه ... غبرة الجوع في يمناه ، والعقم ، واصفرار المحال

* * *

وتطل القصور خضراء في أرض بلادي ، رواسيا كالجبال
تعرش النعمة الغوي عليها في فتون ورقة ودلال
أغرت الشمس ، فانثنت نحوها الشمس بأشهى من الرحيق الزلال
تغسل القصر من ظلام ، وتدعوه الى ركبها وراء الخيال

---

(١) « مأساة اسكندرونة » ، عنوان الملحمة التي يعدها الشاعر عن اللواء العربي السليب ...

ثـم ترنو اليـه دامعـة العـين ، تلـم الشعـاع في الآصـال ...
تغســل القصر ، لو رأت ما حوى القصر لأغضت عما به من جمال
كـذب كبره ، أذل من السوط ، شقي ، مقطع الاوصـال
رن فيـه الفراغ ياشمســ ، فالقصر صغير الهمـوم والآمـــال
عفنت في أديمـه ، خمرة الارض ، دنـان الفلاح والسنبال
للدنايا في قلبه مثل ما للدود في مضجع من الاوحـــال
حوطته يد الدخيل وسـوته وصانته عن كريم الخصـال
رب صـل من الخيـانة والغـدر ، وأفعـى مكيـدة واحتيـال
ضمهـا ... واطمـأن للسـم ، للسـم زعـافا من نابهـا القتـال
هو والجـوع توأمـان ، عضـال في بـلادي يشد أزر عضـال
أسـلمـا للـدخيل عاليـة السـرج وصعب المطـا ورحب المجـال
فهـو كالليـل في بـلادي ، لـم يترك ســبيلا لعـابر جـوال
كالجراد المغير ، يلتهم الخضرة واليبس ، كالضنى ، كالوبال
جرر الـكبر ، عل كبرك ياقصر ، يداني منـه ذليل النعـال

* * *

رب كوب على فـم النرجسـ الطفـل ، نقي كريقـة سـلسـال
سرق القصر ، خمرة الارض ، فالطفل هشـيم ، وكـل طفل غـال
سـرق القصـر غيمـة أنت كحلـت رؤاهـا بـكل سـحر حـلال
والظـلام الرهيب يمتـص في الـكوخ شـعاع الاهـلة الاطفـال
مقلـة كالسراج أنهـكـه الليـل ، ووجـه بقيـة مـن هـزال
وتعيش الايـام كالموت في الـكوخ ، تغني صدى الليالي الخوالي
غدها ؟! .. ما غد ؟! .. شـعاع من الوهم كثوب اليتيم واه بـال

* * *

محنـة خلـت الاعاجـم في أرض بـلادي تجـر ذيـل اختيـال
نفثوا حقدهم كمـا تنفع السـم نيوب الـكواسر الاغوال
راعهـم أن يـكون للعـرب الـكون مطـافـا معطـل الاقفـال
أنهـم أبدعوا الحضـارات للدنيـا ، وزانـوا نحورها بـاللآلي
أننـا سـيد يذل لـه الدهر ، ويعنو لـكبره المتعـالي
ونبي تـدفقت رحمـة الله عـلى راحتيـه كالشـلال
أننا البعث والسـلام الى الارض ، وأنـا الخـلاص للاجيـال

* * *

ألعدنان جبهة الشمس سمراء ، وصوت الدنا ، وفصل المقال ؟! .
ألـه الرايـة الظليلـة ، كالرحمة رفت على الذرى والتلال ؟! .
جمعوا كيدهم ، كما تجمع السرب من الشاء صرخة الرئبال
وتنادوا الى موائد عدنان ذبابا مشلع الافصال

* * *

« كنتم خير أمة » شهد الحق ، فمنا جلائل الاعمال
وثرانا عجينة في يد الله تصوغ الانسان من صلصال
في صفاء اليقين ينبجس الصخر عيونا من نضرة واخضلال
فالسفوح الخضراء تحنو على انطاكية العرب ، والشعاب الحوالي
بيد الله ينفض الليل عنها في خشوع ورهبة وابتهال
واذا الحسن وجه ربك للخلق ، تعالى عن صورة ومثال

* * *

محنة نساء تحتها كاهل الارض ، لما حملته من أهوال
أطلعت من خرائب الدهر أفعى ذات ناب لفتكة واغتيال
فاستبيح الحمى ، وقد كان كالشمس عزيز الجهات ، صعب المنال

* * *

جارة في الشمال ، أنشأها الغرب على ما يشاء من اذلال
فهي كالسوط في يديه تلبيه لدى كل غضبة أو نزال
نظرت للسفوح تنهل سحرا من دنان انطاكية ... للاعالي ...
للسهول الرحاب ، أرض ابن حمدان وميدان خيله والرجال
مثلما للحلي في جيد حسناء كساها العفاف ثوب جلال
نظرت مومس تلقفها الوحل بأيدي صنائع وموالي

* * *

أيه ريح الشمال ، أي بلاء لبلادي جرت رياح الشمال ! ..
أين أين الابطال من آل حمدان ؟ أيا بوركت يد الابطال
لكأني بالارض تغلي بها النار على حانق اللظى زلزال .

محمد جنيدي

* * *

الطبيعـة الآثمة

شعر : محمد الحريري

يا نجمة الصبح ، هذا الصبح سكران — وانت آخر كأس ضمها الحان
يا نجمة الصبح رفي فوق مقلتـه — حتى يطل علينا وهو يقظان
ان الطبيعة سكرى من رحيق دجى — يهفو بهـا لعناق الصبـح تحنان
ان الطبيعة تحت الليل قـد تعبت — مما تعانق فينان وفينان
ومن تنهد وديان قد اضطجعت — تحت الذرى ، والذرى حث وامعان
تحنو بشوق على الوديان تحضنها — حتى تندت بدفق النهر وديان
فصعدت شهقات راح ينقلهـا — حفيف دوح على الانسام خجلان
مرت على الطير آهات فهـز لها — جناح إثم ، وهاجت منه الحان
وداعبت عجـز الاوراد فانبثقت — تلهو بها في حمى الاوراق اغصان
حتى اذا نالت الدنيا لذاذتهـا — واطفئت جمـرة منها ونيران
طلعت يا صبـح تطوي كل فاحشة — الا سريراً جباه الخصب انسان

روبيرت شومان

بقلم الدكتور كارل ه . ورنر

في ٦ حزيران ١٩٦٠ احتفل العالم الموسيقي بمرور ١٥٠ عاما على مولد الموسيقي الالماني روبيرت شومان ولا نقول العالم الموسيقي وحده لان موسيقى شومان قد تجاوزت هذا العالم الى العالم الثقافي كله لا في اوروبا وحدهافحسب بل في جميع البلدان التي دخلتها الموسيقى الغربية .

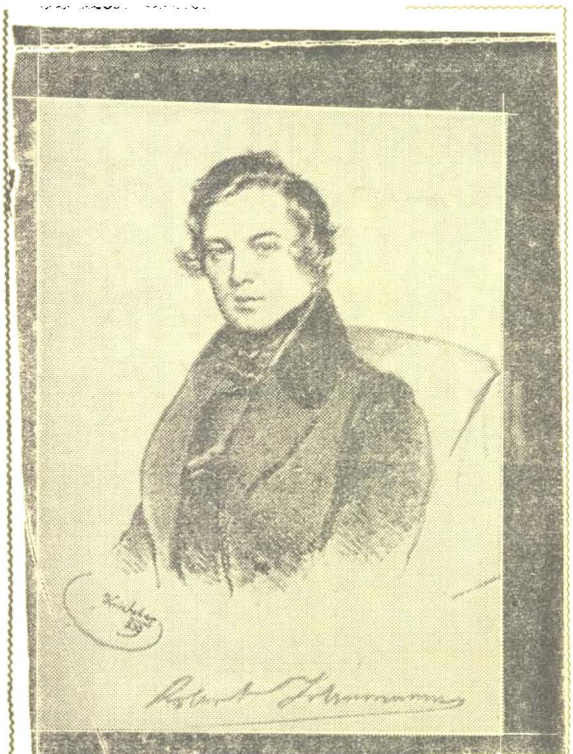
لقد عبرت موسيقى روبيرت شومان عن خلود حيويتها حتى يومنا هذا وكان لها بعد موته تأثير عميق على عدد كبير من المؤلفين الموسيقيين وحتى أيامنا هذه أيضا . حتى أن هذا التأثير لم تخل منه مؤلفات الموسيقي النمسوي (اليان بيرخ) والموسيقي الروسي (سيرج بروكو فيف)

لقد كان روبيرت شومان على عكس موزار الذي احتفظت موسيقاه بالطابع الاوروبي المانيا محضا وبصورة خاصة بالطابع الرومانتيكي الذي اتسمت به مؤلفاته .)

ولد روبيرت شومان في زيكو من مقاطعة الساكس ولم يظهر طموحه في ميدان الموسيقى وهو في حداثة سنه لان الادب كان أقوى تأثيرا عليه آنذاك من الموسيقى

لقد كان أبوه ناشرا وصاحب مكتبة في آن واحد وتوفي في سن مبكرة فاهتمت الام بمستقبل ابنها ورغبت في اعداده لمهنة من المهن ولذلك انتسب الى جامعة ليبزيغ كطالب حقوق ثم الى جامعة هيدلبرغ .

ولكن لم يلبث نداء الموسيقى أن سيطر أخيرا فبدأ عام ١٨٣٠ بالتعبير عن موهبته الموسيقية بواسطة البيانو



مع فرد يريك ويك والد كلارا ويك التي أصبحت زوجته فيما بعد . الا ان اصابة اصبعه بحادث مؤسف عاقت بوادر موهبته الموسيقية في ذلك الوقت وهذا ما حمل شومان على ان يركز جهوده في ناحيتين هما التأليف الموسيقي والكتابة عن الموسيقى . وفي عام ١٨٣٤ أسس مع لفيف من الاصدقاء صحيفة سميت (الصحيفة الموسيقية الجديدة) وكان مع اولئك الاصدقاء من دعاة التجديد في الموسيقى كما عمل كثيرا خلال حياته كلها ليعرف الى الشعب الموسيقيين الشبان أنذاك كشوبان ثم براهمز وفي الوقت ذاته كان يدافع عن قيمة الموسيقى القديمة كموسيقى باخ وهندل وبيتهوفن وشوبرت الذين كانت مؤلفاتهم معروفة في

أوساط محدودة جدا في ذلك الوقت •

وضع شومان كمؤلف موسيقى بعض مؤلفات أيام شبابه الاولى القطع المعروفة بال Papilliono وضعها للبيانو وطبقت شهرتها الآفاق • وخلال عشر سنوات لم يؤلف الا للبيانو حتى ان مؤلفاته أصبحت من النوع المدرسي في دراسة الموسيقى •

وفي عام ١٨٤٠ تزوج كلارا ويك بعد مقاومة شديدة من والدها وبدأ بوضع قطعته المشهورة ليدر Lidr المؤلفة من عدة حلقات ونجح فيها نجاحا باهرا اذ استطاع ان يمعن فيها تعبيرا رومانتيكيا عميقا كما فعل شوبيرت من قبل • ولم يكتف بذلك اذ اتجه أيضا نحو السنفونيه والاوراتوريو • والجدير بالذكر ان سنفونياته الاربع تعزف اليوم في أرجاء العالم كله •

لقد اتخذ روبيرت شومان مركزا له ليبزيك ولقي صعوبات كبيرة لينفذ الى الرأي العام كمؤلف موسيقي اذ أن المرحلة التي عاش فيها لم تكن في درجة من النضج يمكنها من فهم موسيقاه والتمتع بخصائصها وجمالها • حتى أن كلارا زوجته وهي عازفة ماهرة على البيانو لم تتمكن رغم كل محاولاتها وجهودها من الدعاية الفعالة له •

وانتقل بعد ذلك الى برست مع اسرته ولكنه اخفق فيها ولم يقدر سكانها قيمة موسيقاه وهذا ما حصل أيضا في ديسكدورف التي انتقل اليها بعد اخفاقه في برست حيث عين عام ١٨٥٣ مديرا للمعهد الموسيقي فيها•ولكن شومان الذي لم يكن أبدا من الناس الذين خلقوا للحياة العامة لم ينجح كل النجاح في عمله هذا • يضاف الى ذلك انه اصيب بمرض خطير لم يتمكن الاطباء من تشخيصه تماما وبعد محاولته الانتحار عام ١٨٥٤ ، هذه المحاولة التي لم يكتب لها النجاح ، دخل بناء على طلبه احدى المؤسسات الصحية وقضى نحبه في أندينش ودفن في مقبرة بون •

ان موسيقى ومؤلفات شومان الخالدة هي ملك العالم الموسيقي في أرجاء الدنيا بأسرها •

A mon fils

RECUEIL : ADNAN ZEIN

LORSQUE TU SERAS GRAND ET SAGE
MON FILS, TU TE DIRAS POURQUOI
TON PAPA ÉTAIT LOIN DE TOI
DURANT LES ANNÉES DE TON JEUNE AGE

TU DEMANDERAS AVEC DOULEUR
POURQUOI A L'AGE DE SIX ANS
DIFFÉRENT DES AUTRES ENFANTS
TU N'AS PAS CONNU LE VRAI BONHEUR

POURQUOI TES AMIS DANS LEUR ÉMOI
PARLAIENT FIÈREMENT DE L EURS PÈRES
ET TOI TU NE POUVAIS LE FAIRE
SANS POUVOIR DIRE AU JUSTE POURQUOI

ON AURAIT VOULU TE FAIRE CROIRE
QUE TON PAPA T'AVAIT QUITTÉ
ET QU'IL NE FAUT JAMAIS COMPTER
A CE QU'IL REVIENNE UN JOUR TE VOIR

TON PÉRE TE DIRA-T-ON DES FOIS
T'A ABANDONNE AU DESTIN
AU HASARD, AU MONDE INCERTAIN
SANS SE SOUCIER JAMAIS DE TOI

ET L'ON TE DIRA TANT D'AUTRES CHOSES
QUE TU NE SAURAS PLUS QUE DIRE
TU NE SAURAIS S'IL FAUT MAUDIRE
LA VIE OU BIEN MAUDIRE LA CAUSE

MAIS UN JOUR VIENDRA, OU TU SAURAS
QUE TOUT CECI N'EST GUÈRE VRAI
QUE TON PAPA T'ADORÉ
ET QUE JAMAIS IL NE T'OUBLIERA

LORSQUE TU VIENDRAS VIVRE AVEC MOI
QUAND TU AURAS EU TES SEPT ANS
JE TE DIRAI TRÈS SIMPLEMENT
POURQUDI J'AI DU V0VRE LOIN DE TOI

نزار قباني وقصيدته «ايظن»

بقلم: عبد اللطيف اليونس

أعترف ـ سلفا ـ أنني أحب « نزار قباني » ، وأحب شعره •• وانني أحفظ بعض هـذا الشـعر وأرويه في بعض المجالس •

ولكن هذا الحب •• لا يحول بيني وبين كلمة حق يجب أن أقولها به ، وبقصيدته الجديدة : « أيظن » ، وبهذا الاتجاه الذي بدا يتجه بشاعريته نحوه ••

«نزار قباني» شاعر مجدد••اخضع القافية والوزن ، في بعض **قصائـده ، لاسـلوب مبتكر** ، ومعـان فريدة جديدة •• وهو حائر بين الرمزية والجدية •• وبـين الخيال والواقع ••

وعلى كل •• فهو شاعر المرأة ـ او شاعر الفراش كما يلقبه بعض الكتاب المصريين ـ ولقـد ابدع شعرا أنيقا •• لونته ريشة ناعمة حنون •• وسـكبت عليـه شاعرية رقيقة ذوبا من عصير البنفسج ، وشذاالياسمين •• وخلع عليه روح هائم شفاف •• غلالـة من أريج الفجر ، وزهوة الاصيل •• فجـاء شعرا يعترف بعض القلب •• وينكر العقل بعضه الآخر ـ ذلك لان «نزار» كثيرا ما يقحم شاعريته في مجالات لا يؤمن فيها العثار •• ولقد عثر خياله مرة •• حتى اضطر بعض النواب ان يشغلوا المجلس النيابي ساعة ونيفـا في مهاجمته ، والمطالبة باقالته ••

ومن عيوب « نزار » انه يحب الشهرة ، ويسعى اليها عن أي سبيل •• ويبحث عنها في كل ميدان •• ويسير نحوها بخطى واسعة •• غير متئدة ، ولا حذرة •• وفي الطريق أشواك وأخاديد •• وما يهمه ان تدمى قدمه ، أو تعثر خطاه •• ولا ان ينقل في سبيل ذلك الى مستشفى ـ اذا كتبت عنه الصحف خبرا ، أو تناقلت أحاديثـه الحسان ••

ولنزار مغامرات •• يظهر أنها كثيرة ، ومتعددة •• ولو كانت لسواه لـ « استتر » اطاعة لامر الرسول •• ولكن « نزارا » يعترف بها •• لان فيها بعض الشهرة ، وبعض ما يصبوا اليه •• فقد سأله مراسل « الانوار » في الطائرة : « هل ستكون نجاة كوليت ثانية ؟ » فأجابه : « ياريت » ! •

وكـانت « نجاة » تستمع الى السؤال والجواب •• وكان من البدهي ان تحمر وجنتاها، و••تندى شفتاها •

وعلى كل حال فهو يغفر لنفسه أي تصرف وشذوذ ما دام هذا يؤدي الى نظم قصيدة جديدة ، واقتناص معنى مبتكر •• أو اقتناص حسناء توحي له بقصيدة جديدة ، ومعنى مبتكر •• وعند « نزار » من العنفوان والتعالي ما يحول بينه وبين طلب الغفران من أحد ، وحتى قبوله من أحد ••

انه انسان غريب •• من فلسفته انه لا يأبه للنقد ، ولا للناقدين ـ وربما رحب بالنقد لان اسمه يظل حيا على الورق ، ويظل جديدا على ألسنة المتحدثين ••

ومهما قيل به ، وعنه ، فقد كان له اتجاه شاعر عاطفي •• يجلبب الجسد حينا ، ويعريه أحيانا •• وانه استطاع أن يكتشف للشعر العاطفي مجالات جديدة •• في آفاق رحبة جديدة •• وان يحسب في طليعة الشعراء المجددين ـ بل المتمردين على التزمت ، والتقيد ، والالتزام •

وفجـأة ظفرت قصيدتـه « أيظن اني لعبة بيديـه » بجائزة « الانوار » •• ! وكان للمفاجأة أثرها العميق في نفسه ـ لا حبا بالجائزة ، ولا لانه ظفر بـ « لعبة جديدة •• هي « نجاة الصغيرة » ـ التي لم تكبر بعد•• برغم أنها أصبحت أما أو كادت ـ بل لان اسمه سيجلجل كل يـوم في آذان الناس •• فينتفض « نهـد طفل » :

و « يقول له السمراء » شيئا ...[1]

وهنا بدأت نقطة تحول جديدة في حياة « نزار قباني» .. فقد استخفه الزهو حتى سجل نفسه في « جمعيــة المؤلفين » في باريس . وقالوا عن لسانه انه سيقفشعره على الغناء .. !

ونشرت له الصحف أخيرا قصيدة جديدة عنوانها : « أحبك كثيرا » ـ لا طويلا بالطبع ـ قيل أن عبدالوهاب سيلحنها ويغنيها .. وليس فيها الا قليل ـ وقليل جــدا من شعر « نزار » ، وان يكن فيها كثيرا من « معانيه » ، ومن ذكريات « الفراش » الوثير ..

واذا كــان الملحنون والمطربون سيربحون « مؤلفا » جديــدا .. فان المكتبة العربية ستخسر شاعرا محلقــا مجيدا .. ذلــك لان الشاعر سيخاطب الآذان من الآن فصاعدا .. لا القلوب ولا العقول ـ هذا .. مع ان حظ العقول من « نزار » كان ـ وما يزال ـ جد قليل .

واذا كــان الشعر المعــد للغناء لــم يقعد بشوقي عن الانتاج والابداع ـ فلان شوقي .. هو شوقي ، ولان أمير الشعراء لم يسجل اسمه في « جمعية المؤلفين » ، ولم يقف شاعريته على الغناء والتلحين .

بقيت كلمة أخيرة .. ان حياة « نزار » مثل أوزانه ـ فهي مستقيمة حينا ، ومضطربة أحيانا ..

ان حياته له ، ولكن شعره لنا .. وليس له من شعره ـ بعد ان ينشر ـ الا الاسم ، و « حفظ حقوق الطبع » اذا أراد .

ونحن نحترم استقلاله بحياتــه ، وعليــه ان يحترم استقلالنا بآرائنا ..

وعلى ضوء هذا « الاستقلال » سنقف وقفة قصيرة عند قصيدته : « أيظن » .

* * *

لقد لقيت هذه القصيدة من الرواج والذيوع ما لم يتح لقصيدة أخرى ، أو أغنية أخرى .. ولقــد كتب عنها أكثر من كاتب ، وغربلها أكثر من ناقد .. ورغم ما كتب عنها فلا بد من وقفة عابرة عندها .

هذه القصيدة ـ في نظري ـ تشبه صورة زيتية .. يبرز جمالها في بعدك عنها ، والقاء نظرة شاملة عليها . وأما اذا اقتربت منها ، وأمعنت في النظر اليها ، بدت لك نواقصها ، والهنات الكثيرة فيها ..

يستهل الشاعر قصيدته بهذا البيت الذي جعله عنوانا لهــا :

« أيظن اني لعبة بيديه انا لا أفكر بالرجوع اليه » وشاعر مطبوع لا تــرد في شعره : « أنا لا أفكر » فهو تعبير عادي وسطحي ـ لا عذوبة ولا حياة فيه .

وما أغرب هذا البيت :

« ليقول لي اني رفيقــة دربــه وبانني الحب الوحيد لديه » فرفقة الدرب لا تــدل على شيء من الحب ... لانها قصيرة ، وعابرة .. وقد تجمع بين اثنين لا يعرفان بعضهما قبل ذلك .. وهذا التعبير يستعملهرجالالسياسة المختلفو المناهج والمبادىء ، حينمــا يجتمعون في قائمة انتخابية واحدة ، ويفترقون عند نهاية الاقتراع . وأما ان يستعمله رجل عاشق لحبيبته فهو نــاب وشــاذ .. ورفقة الدرب غــير « رفقــة الحيــاة » بالطبع .. لان « الدرب » وسيلة ، و « الحياة هدف » .

وما أثقل هذه القافية النابية ـ لديه ـ وأغلظها .. انها تعبير مادي ليس فيه شيء من العاطفة ، ولا شيء من الاناقة والرقة .

وهذا التعبير « العامي » : « الحب الوحيد » ـ مناين جاء به شاعر الاناقة والرقة ؟! وهذان البيتان :

«حمل الزهور الي كيف أرده وصباي مرسومعلىشفتيه»

« ما عدت أذكر والحرائق في دمي كيف التجأت انا الى زنديه »

صور زيتية جمالها في ان تنظر اليها من بعيد ..

و « الصبا المرســوم على شفتيــه » يذكرني بالصور المرسومة على « فساتين » الفتيات ، أو قمصان الفتيان ..

(١) من دواوين «نزار قباني» المطبوعة : « طفولة نهد » و « قالت لي السمراء » .

وهذه « الأنا » بعد ضمير المتكلم كم هي قلقة ، ومضطربة .

وهذا البيت :

« خبأت رأسي عنده وكأنني طفل اعادوه الى ابويه »

ذكرني بقول الاخطل الصغير :

« كطفل ذووه ما أدبوه »

وليت حسناء « نزار » أو « لعبته » هذه قد « أدبها » ذووها حتى لا تكرر « الرجوع اليه » و « ما أحلاه » و ثلاث مرات في قصيدة لا تزيد على عشرة أبيات الا بيتا آخر مكررا .. و .. « خبأت رأسي عنده » تعبيرتجاري جعلت العاشق « صاحب دكان » لا أكثر .. واف لكلمة « عنده » ما أغلظها وأثقلها .

وهذا البيت :

حتى الفساتين التي أهملتها

فرحت بـه رقصت على قدميه

ما هذه القوة السحرية التي أخرجت « الفساتين » المهملة من « الخزانة » لترقص عند قدميه .. ؟ أو لا يجوز ان يرقص الشاعر الا « الفساتين » .. ؟ أو ماكان أجدر به ، وانقى للمعنى ، وأطهر للفظ ، ان يستعمل « الازاهير » بدلا من الفساتين .. أو أي كلمة أخرى تكون غير ذات دلالة نابية ، .. ومعنى مثير ؟ .

ولكن يظهر ان للفساتين ذكريات لا يحب الشاعر اغفالها أو اهمالها .. !

وهذا البيت :

« ونسيت حقدي كله في لحظة

من قال اني قد حقدت عليه؟! »

طبعا لم أقل هذا..لا أنا ولا القارىء . فلماذا يحاول الشاعر أن يتهمنا به .. ؟ وكلمة « الحقد » هذه ليست موسيقية ولا تصلح للغناء .

وفي الشطر الاول افرار ، وفي الشطر الثاني انكار..

وفي بيت واحد اعتراف بواقع،ودحض لهذا الاعتراف..

ورغم ما في البيت من اقرار وانكار،واعتراف وتراجع .. فان فيه رقة وعذوبة .

وفي هذا الشطر :

« وبراءة الاطفال في عينيه »

رقة وعذوبة .. أيضا وان يكن المعنى غير مبتكر ، وليس جديدا .. فهو معنى معروف ، وكلماته ترد دائما على السنة الناس ، وأقلام الكتاب

وهذا الشطر :

« سامحته وسألت عن أخباره »

لا يقول شاعر مطبوع .

فالسؤال عن « أخباره » تعبير عادي تتضمنه رسالة خاصة لا قصيدة غزلية أنيقة .

وخلاصة القول :

ان القصيدة ليست من مستوى شعر « نزار قباني » ، وليس فيها شيء من لفتات ذهنه وبيانه ، وان يكن فيها أشياء من « فلتات » قلمه ولسانه ..

بقي ان نقول كلمة في « اللحن » الغريب الذيوضعه لهذه القصيدة الموسيقار محمد عبد الوهاب .

اني .. وان كنت أجهل الموسيقا ، وسلمها ومقاماتها، والنقاط السوداء والبيضاء ، وذات السن والسنين و .. الخ .. فان لي اذنا كسائر الناس تستحسن أو تستهجن

وانني أتحدث عن ذوقي الخاص ، لا عن أذواق الآخرين .. وعن رأيي ، لا عن آرائهم ..

وأعترف انني لم اسمع في حياتي لحنا نابيا ناشزا كهذا اللحن .. ويظهر ان الموسيقار الكبير ـ عبد الوهاب ـ قد أصبح مطمئنا الى شهرته ، واثقا من قوة الدعاية لـه ، والتهافت على الحانه ، فصار يستخف بالجمهور ، وبذوقه الفني والادبي .. !

وليس أخطر على ذي النبوغ من أن تقعده الشهرة عن بذل الجهد لانتاج الافضل والاحسن والاجمل .

وأما ذوق الجمهور فانه موضع الغرابة أكثر من اللحن نفسه ، والقصيدة نفسها .. اذ أن طلباته تنهال على دور الاذاعة كل يوم طالبة السماع الى المطرب الشيخ الذي يشاخ معه صوته ، وأوشك ان « يهرم »...

البقية على الصفحة (٦٣)

الى ابني البكر «عماد»...

فجر عيد الجلاء ١٧ ـ ٤ ـ ١٩٥٩

شعر : عرفان سلوم

عمادي .. بني .. فأجمل به من نداء
وأكرم به من عطاء ..
عطاء السماء ..
عطاء المنى ..
وهل السنى ..
وفيض الهنا ..
عمادي .. أحقا بانك قد جئت يا ابني ؟
تعال .. سأطبق فوقك جفني
وارعاك يا ابني بقلبي بعيني
بحسي ، بروحي ، بدمي ، بظني
احن اليك حنين الفراش الى الوردة
واشتاق وجهك يا ابني اشتياق الحساسين للنغمة
أتعلم من انت ، ما انت ؟ قل لي
لأنت حشاشة قلبي ،
لأنت قلادة حبي،ونعمه ربي ..
فأنت ، اجل انت إبني وبكري
بماذا سأفديك ؟ قل لي ، بعمري ؟
قليل لعمري بعمري ..
عمادي .. أحقا بانك حامل اسمي
ودرعي وسهمي
ولحمي ودمي ؟
اجل يا حبيبي ، وطيفك يمسح همي

ويفرح اهلي ، ويفرح امي
وجدك « توفيق » لو كان قربك
لكان هداك ونوّر دربك
فعنه اخذنا
ومنه رشفنا
فخذ ما اخذنا
وفقه وفقنا
واشرقت كالنور .. كالمنتهى .. كالجلاء
مع الزهر والورد والزنبق
وجاءت بك الشمس عند الدعاء
دعاء المؤذن للخالق
يؤذن للكون الله اكبر
فادعو لربي لتحيا وتكبر
وجاءت بك الشمس في عطفها المشرق
لتحمل بشرى ، وتبعث ذكرى ، احب الينا
واغلى علينا
من العيش ، مما يسيل مع الاعرق
ذكرى الجلاء ، وبعث الرجاء ، وامك قربي
ترى فوق هدبي
دموع الفرح
وفيض المرح
وامك فوق سريرك يا ابني

تصلي لك
وتدعو لك
بعمر مديد
وعيش سعيد رغيد
تصلي .. ليملأ قلبك طهراً
ونفسك عزاً ، ونبلا ، وكبرا ..
اريدك يا ابني تطيع الاله ،
تحب الاله ،
تظل صلاتك فوق الشفاه ،
تحب الهك من كل قلبك ،
ومن كل فكرك ،
ومن كل نفسك ،
تحب قريبك يا ابني كنفسك .
وفتش عن الخير انى وجد ،
ودافع عن الحق مهما اضطهد
وكن يا بنياً
عفيفاً ابياً
جريئا طموحا
محبا سموحا ..
اريدك يا ابني
تشيد وتبني ..
واما هدمت فللأنبل ،
واما حطمت فللأمثل ،
واما عشقت فللاجمل
وتبني لشعبك اعلى قمم
وتبذل روحا ، وجسما ، ودم
فكل الذي في عروقك يا ابني
من الترب يا ابني ،
من الشعب يا ابني ..
فرد اليه العطاء ..
ورد اليـــه الدماء .
دماء البلاد الحبيبة ..
دماء العروبـــة
اعدها اليه
بكل سخاء
وحن عليه
ولا تبغ منه جزاء
جزاء الفـــداء
بمنح الفداء
وكنت على الدهر حـــلم الدهور
فكـــن للدهور
نضالا يثور
وينبوع خـــير يفور
ودنيا تمـور
بنار ونور
وفيض العبير
سنرضعك الحب ، والحق ، والخير طفلا
لترضع ذلك ابنك كمـــلا
فكن خير ابن ، وكن خير اب
وعش للجهـــاد
ومت بالجهـــاد
وكن للبلاد ، اجل عمـــاد ..

اغنية للاذاعة

شعر : جميل حسن

(تحية رقيقة الى هؤلاء الذين يغرقوننا بفيض من الغناء المائع المبتذل)

لست أسـطيع للحبيب خصامـا وكذاك الامور تأبى الوئاما
فحيـاتي مـا بـين ذل مقيم •• طاب في النفس فاستطاب المقاما
وعذاب أهان لي كبريائي لا أرى فيــه أي شيء حراما
شد في القهر •• والمهانـة اني باختيـاري أحب أن أستضاما
يا حبيبي !•• يا مالكا كل أمري ان روحي تـذوب فيك غرامـا
أنا عبد •• فـكيف أطمع يوما بهوى سيدي••وأرجو احتراما؟
كل جرح يلتـام مهمـا تنزى وجروحي في الحب تأبى التئاما
عفو مولاي في الغرام ! •• فاني لست أشكو الجروح••والآلاما
انهـا نفثة من الصدر •• حرى تشرح الصدر •• تغسل الآثاما
ودليـل على انسحـاق كيـاني كلما رمت أن أرد انتقـاما ••
أي معنى للحب مـا لـم يحقق بين نفسي وذلها الانسجـاما ؟
ياحبيبي !•• طال الغياب فهلا تذكر العهد؟ أم خفرت الذماما؟
كم تمنيت لـو كحـلت عيوني بمجيء يزيـل عني السـقـاما
قـد قضى الله بالعـذاب ، ولو شـاء ، لـمـا عشت مولعا •• مستهـاما
فلم اللوم ؟ لو رأى النـاس عينيــك •• ومـا ضمتا ، لذابوا هيـامـا
قد ملكت الخفي من همس حسي وسـأغدو للعاشـقين امـامـا
كل صب له ليالي وصال وكفاني أن أشتهيك منـاما
لم يضرني أني أراك كبيرا •• وتراني جرثومة •• أو هواما
أنـا ظل ألوب خلفك فخـرا لست أخشى على فعـالي ملامـا
أنـا ملك اليمين فارحم فؤادي ياحبيبي!••والطف بعبد ترامى
أيهـا السادة المذيعون •• رفقا بشباب يريـد أن يتسامى
خففوا وطأة الميوعـة عنـا مل حتى الشريط هذا الكلاما
في بلاد الالهـام فن « أصيل » وجمـال يستنزل الالهاما
في الروابي الخضراء شعت عبيرا ينعش النفس •• يملأ الانساما
في السواقي النشوى •• استطاعت بهاءحولها الباسـقات •• عـاما •• فعاما

والعصافير وقعا .. حائمات يتواثبن فوقها أنغاما ..
في الرياض الفينانة البكر رفت زهوة غضة .. ونشر خزامى
في الربيع الغافي على مفرق السفح ، وقد أيقظ الرجاء النياما
في القطيع الذي يرود فلاة بعد أخرى ، ولو أحب أقاما
ونشيد الراعي يمد له النعمى فنونا .. فيستجيب انتظاما
في السقوف المخلعات بريفي تجرح العين حين تبدو قتاما
قد تداعت جدراهن عياء وتكاد الغداة تمسي ركاما
وصلاة الفقير تصعد منها زفرات حرى تثير الظلاما
في الشباب المثناف يزحم خطبا ليلاقي بعد الخطوب الجساما
في زنود العمال ترفع مجدا بسناه نحيا الحياة كراما
في النضال الذي سلكناه صعبا وأجدنا في خوضة الالتحاما
وانتصرنا في ألف درب ودرب وأحلنا طغاتها أقزاما
في مجال الحياة تشرق فينا تارة رحمة ، وطورا سلاما
يعذب الشعر والنشيد وتحلو أغنيات الهوى..وكأس الندامى
أيها السادة المذيعون .. مهلا قد كفانا ماضي الشباب انهزاما
ارحموا أمة تشق طريقا لعلاها .. تسابق الأياما
ما حطمنا أصنام عشرة أجيال ، لنبني من وهمنا أصناما
لم يؤخر مستعمرونا سلاحا من فساد ، وكان غضبا حساما
أسمعونا ما يملأ النفس كبرا وفخارا .. وعزة لا تسامى
أسمعونا ما يفتح القلب بشرا فيرى البدر في السماء تماما
خدر الآه في عروق الصبايا والشباب الغض استوى اجراما
سيداتي!. وسادتي!!طاب عمرا كل شعب خلا حماه حراما
حفظ الساح فاستراح قويا وأشاع النشاط .. والابتساما
أيها السادة المذيعون عفوا ما قصدت الايجاع .. والايلاما

(جميل حسن)

عابــرة

شعر : نجم الدين الصالح

مرت ••• كزوبعة ••• العبير
على الرصيف •••
وكالشهاب
مرت ••• كما مر الربيع •••
على المفارق •••
والشعــاب
وتعرجت •••
كالبرق •••
كالاحلام •••
في هدب السحاب
كفراشة بيضاء
ترقص ••• للوهاد •••
وللهضاب
وتبعتها ••• متأجج الاهداب
مسعور الرغــاب
ظمــآن ••• ألمس ظلها النديان
يمرح في شبــابي
الناهدان •••
الزاحفان •••
الى الضياء •••
الى التصابي
الكاشفان ••• عن المناقير
الصغار •••
مدى الخضاب
والساق ••• خلف الساق
جدول فتنة •• ،
وهــديل غــاب
بضــان : يطفر فيهما •••

شوق الشموع •••
الى الكتاب
بضان ••• كالأنبوبتين •••
عليهما ••• وهج الشراب
بضان •••
هل خلق الاله
أغض من هذا الاهاب
تمشي ••• ، فيرقص كل
شوق ••• للذهاب
وللاياب
تمشي ••• كما لو طافت
النسمات ••• في كنف الروابي
وأحس بالقدم الرشيق
يمر ••• من هــذا الاهاب
ويسيل في دمي الحريب
••• كما تسيل بــه رغابي
حسناء •••
مــن فتن الالوهة
صاغها ••• هذا المرابي
من بعض أنواع الورود
وبعض ألوان الشراب
من بعض غالية الجنان •••
وبعض حالية السراب
ونرى بهــا ••• كل المواهب
والعواطف ••• .
والشباب
فارفــق بقافلة الشــذى
ياباثع الوهج المذاب
أرفق بها ••• فالحسن قــد

تعبت روائعه •••
ببــابي
وهفــا يحن ••• لجرعة
من غير اذن
أو حساب
يهوى الهجوع ••• على يدي
هنيهة •••
قبل الغيــاب
يهوى شراب الحب •••
من شفتي •••
من شهدي •••
وصابي
يهوى لقائي ••• وحـده
فأذن ••• كفــاك
كفــاك ••• ما بي
حسناء ••• ياكل الامــاني
العاجزات ••• عن الجواب
آمنت فيـك ••• فأنت
أنت ••• الذنب من غير ارتكاب
أنت الطريق لفهم
آلهتي •••••
لادراكي حسابي
وعليك ••• وحـدك كان
مدلول الخطيئة •••
في ايابي
وعليك ياحواء ••• عانقت
الألوهة •••••
شرع غابي

الفضاء الخارجي

بقلم : عبدالرحمن عياش

في فضـــاء حـير العقـل مــداه حلـق النـسر وللنســر عـــلاه
فهوى كالنجـم اذ خـارت قـواه وعلى عينيـه ومض مـن سنـاه
قالت الارض سلوه مـا دهـــاه ؟ أهـلاكـا خـــاف أم رب رآه ؟
صامت لـم يفهم النطق حجـــاه قـائـد لـم يفتـح اجـو سـواه
عزمه ريش وقلب وجنـــاح

خل هذا النسر واستقص الخبر وتأمـل في فضـاء مـزدهـر
خفيت منه أعـاجيب الصـور وبـدا للعـين شـمس وقمر
ونجــوم كـالجـراد المنتشـر لا ترى الا اذا الليل اعتكر
ســرهـا ســر ضمـير مستتر في معانيـه تـواريـخ البشـر
تطفىء الضـوء اذا لاح الصبـاح

فـكر الانسـان في ذي النـيرات منذ أن خـاف الرعود القاصفـات
فرأى في الشمـس كـل الميزات انهـا أصـل حيـاة وممـات
شـكلهـا شـكل عظـام الآلهـات تبعـد الشر وتغني بالهبــات
صاح • ياشمس اغفري لي سيئاتي أنت قـد بـاركت سـيفي وقناتي
ردد الصـوت جبـــال وبطـــاح

بعـد ازمـــان وأحقـــاب طـوال نهض العقـل وغـالى في السـؤال
ما وراء الغيب ؟ مـا هذا المحال ؟ ما الذي من بعده صعب المنـال ؟
اسـرج العلم ودع عنك الخيـال واسـبق الطير الى دنيـا الجمـال
فهناك الروض والمـاء الـزلال وهنـاك العيشـ حب ووصـــال
وهنـاك الرقص والخمـر المبـــاح

وهنـاك الغيـد يشـبهـن الظمـاء راتعـــات سـارحـات في العـراء
عـاريـات لسـن يعـرفن الـرداء كـل مـا فيهـن حسـن وضيـاء
وهناك النطـق شـهر وغنـاء والهـوى والوعد صـدق ووفـاء
معشـر مـن نسـل أبناء السمـاء وصفهم يعجز عنـه الشعـراء
عالـم سـاكنـه بـض مـلاح

فرح النـاس بما قد سمعوا ورأوا في الجو شيئا يلمع
حسبوه كـوكبـا ينـدفـع أو من المريـخ دوى مدفـع
منظـر لـم يـألفـوه مفظـع شـاع مـن أنبـائه مـا يفـزع :
انهـم قـوم غـزاة شرعـوا يقـذفون الارض ممـا اخترعـوا

ركبـوا خيـولا مـن الشـهب سـماح

ثم ماذا كـان في الامر وصـارا ؟ أعلن العلـم على الخلق جهـارا
ان صاروخـا من الفـولاذ طـارا يقطـع الابـراج ليـلا ونهـارا
حامـلا في جوفـه قـردا وفـارا علهـا تـكشـف أهـلا وديـارا
وسهـولا وجبـالا وبحـارا وجنـانا ونهـورا وصحـارى

سيره عـام غـدوا وراح

وتبـارى في العلى غـرب وشـرق لهمـا في حومـة الهيجـاء سبق
كلمـا لاح مـن الآفـاق بـرق قيل : صـاروخ الى العلى يشـق
نـزق في رأسـه طيشـ وحمـق قـاتل في قلبـه نـار وصعـق
ان عـلا لـم يبق لـلانجم أفـق يسبق الطرف ومـا عاقتـه طـرق

داعبت قدرتـه هـوج الريـاح

قبـل الصـاروخ خـد القمـر بفـم يحـرق صلـد الحجر
انهـا قبلة حـب مجتـري عشـق الاقمـار دون البشـر
لم يخف في العشق هـول السفر حـائـم مستتسـر مستـكبر
عابر مستخبر مستفسر : أين نجم القطب ؟ أين المشتري ؟

عبقري حـاز مجدا واستراح

قـال جل الناس : دنيـا للعـدم هي حرب أوشـكت ان تضطـرم
سـخروا الاجـواء للفنـاء ولـم يـكفهم بر وبحر من (خمـم)
سيظل الـذئب ذبـاح الغنـم ويظل الحقـد سلطـان الامم
هـذه أيامـنـ منـذ القـدم كل جرح مزمن لـن يلتئم

في صدور الخلق كيـد وجـراح

هـكذا قالوا وصـاحوا والحـوا فتلائى لهـم في الافـق لمح
ساسة عن سـدة الحرب تنحـوا وانثنوا يحدوهم في السـلم نجح
صح مـا قـد كان منهم لا يصـح خبر في عـالم الاخبـار فتـح :
أغمد السيف وراح العقل يصحو ومن الديجور قـد اسفر صبـح

ومضـوا عهـدا على نـزع السـلاح

عبد الرحمن عياش

الشعر العربي القديم والفن الحديث

بقلم : عفيف بهنسي

لم أقصد من وراء مقابلة الشعر العربي القديم بالفن الحديث ، ربط سبب بمسبب ، ولا تزويج نقيض بنقيض ، ولا رمت ادخال روح العصر الحديث على الشعر القديم ، كما لم أحاول اسقاط التراث القديم ، على الخيال المبدع الحديث ، وانما أردت أن أجر الفنانين في أي زمان الى حتميقتهم الواحدة ، عن طريق ابراز اللحظات الخالقة المتشابهة عند كل فنان ، لكي نقف معا أمام الهزة العنيفة التي تدفع المبدع لابتكار القوالب الجمالية لرؤيته العميقة السحيقة ، التي ينفذ بها الى ما وراء الجمال والحقيقة والحس •

وأنا على ايماني بأصالة الشعر العربي ، وتمسكي بمتانة اتصاله بجذور الامة العربية ، أرى أنه مليء لاستيعاب خصائص الابداع جميعا ، كفؤ للتحليق بالفكر والخيال الى قمة الجمال • فاذا كان للفن الحديث ما كان من أثر على الذوق البشري ، وما كان من ثورة على الصيغ الجمالية الشائعة ، فان الشعر العربي ، كان يطوي تطورات هائلة ، ما كانت الاذواق الجاهزة لهذا التطور لتفرغ الى تصنيفها وتقعيدها ، وما كان للشاعر أن يفرضها مدرسة أو مبدأ ، وهو الذي يتجاوز نفسه في كل قصيده ، بل في كل بيت من كل قصيدة ، يتجاوزها ثقة ، ويتجاوزها ابداعا •

(وهذه صورة طرفة رسمها بريشته) :

اذا القوم قالوا : من فتى ، خلت أنني
عنيت ، فلم أكسل ولم أتبلد
ولست بحلال التلاع مخافة
ولكن متى يسترفد القوم أرفد
فان تبغني في حلقة القوم تلقني
وان تلتمسني في الحوانيت تصطد
متى تأتني أصبحك كأسا روية
وان كنت عنها ذا غنى فأغن وازدد

وقد يبدو أن في اقحام فن الشعر الزماني ، في اختصاص الفن التشكيلي ، نوع من المخاطرة والجرأة ، ولكن باعتقادي أن الكلمة تتسع الى مطلق اللون والخط والبعد ، لانها قلما تتحدد في المكان ، وهي تتسع لمطلق الاثر وعوامل النفس ، لانها لا تحدد في الزمان ، وهكذا كانت الكلمة في الشعر خاصة ، مفتاحا لباب الخيال البعيد المتيقظ أحيانا ، والحالم أحيانا أخرى ، فاذا استطاع الشاعر أن يتفنن في أسلوب عرضها وتنضيدها مع غيرها ، تجاوز الفن التشكيلي وتجاوز أساليبه المبتكرة مهما غالت في التطرف والتجريد •

ففي الوقت الذي أثار الغرب فيه معرض الانطباعيين بلوحاتهم المبتكرة ، وخاصة لوحة « غروب » لمونيه ، كان قد مضى عشرة قرون على ابن الرومي عندما قال يصف السحاب :

متهلل زجل تحن رواعد
من حجرتيه، وتستطر بروق
سدت أوائله سبيل أواخر
لم يدر سائقهن كيف يسوق

ليس لي أن أنظر الى هذه الصورة من خلال مقاييس البلاغة وأصول الشعر ، وانما أنظر اليها لوحة انطباعية بدا السحاب فيها موارا بلونه الناصع ، تتنازعه بروق توشي لون الليل بضياء خاطف ، عاكسة ألوانا جديدة لم يعرفها الانطباعيون • ويزمجر الرعد، كأن صوته خطوط قاسية ، حددت هذه اللوحة المتكاملة ، التي رسمتها يد فنان ، يعرف أين يضع اللون ، وأين يضع الظل ، يعرف ما معنى التضاد وما معنى الانسجام ، كل ذلك عفوا ، دون تمحيص أو تعقيل •

وقبل ابن الرومي بأربعـــة قرون أيضا ، كان امرؤ القيس يقول أروع الشعر الانطباعي :

مهفهفة بيضاء غير فعاضة
ترائبهـا مصقولـة كالسجنجل
كبكر المقاناة البياض بصفرة
غذاهـا غير المـــاء غير المحلل

أجل ، لقد حلل الانطباعيون النور ، فاستفادوا من ألوان الطيف ، فعرفوا مرتبة اللون من النور ، وعرفوا درجة اللون من اللون ، ونظروا الى الطبيعة نظرة لا تخلو من السحر ، ناسين أن الطبيعة شيء ، غافلين عن القيم الساكنة الميتة التي تداولها الناس عن العالم الخارجي ، ولكن هل كان منهم من تطلع الى بيت من الشعر العربي الى هذا البيت مثلا :

ورياض تخايل الارض فيها
خيلاء الفتــاة في الابراد
ذات وشي تناسجته ســـوار
لبقــات بحوكه وغـــواد

أقول ، هل كان في الانطباعيين من تساءل ، أكان ابن الرومي محتاجا لعلم النور يميز به الالوان ، ولعقل حصيف يرصف به الاصباغ ، أم أنه عاد الى حدسه ، الى خياله ، فلم ينظر الى الجمال ممثلا بالالوان ، بل نظر اليه ممثلا بمساحات شيئية ، من الطبيعـــة والانسان وقطعان الغنم وسحائب الغمام ، فنضدها ووشاها كما تكون لوحة يتناغم فيها شبه الالوان والاشكال ، ويبرق فيها تضاد الاشياء والاجناس ، لتصبح أخيرا ملحنة تشكيلية ذات اطار ملون ، تتبدى فيها الموضوعات على غير الصورة التي تراها العين الكليلة الغافلة •

ولنتطلع الى ابن خفاجة وهو يجتث عناصر الجمال من كل فن ، فيعير الاقاحي ثغورا ، ترضع بها عصار الغمام ، ويخلق لريح الصبا يدا رقيقة ، تنثر درر الندى ودراهم النوار •

في أبطح رضعت ثغور أقاحـه
أخلاف كل غمامة مدرار
نثرت بحجر الارض فيه يد الصبا
درر الندى ودراهم النوار

فأي انطباع نفسي تركه هذا المنظر الطبيعي في نفس الشاعر الجنان ، ففتح هذه الصورة الجميلة التي سبكها من عناصر ، هي من اللون بمثابة قوته المؤثرة وقيمته المعبرة ، فكانت تحليلا دقيقا لالوان المعاني وتركيبا مجددا لرموز الجمـــال المتصلة بمعنى الشيء في خيال الفنان الشاعر •

فهنا أقاح ، صفراء وهناك غمائم دكناء ، وأمامها غلالة الصبا ومن خلفها بريق الندى وتلألؤ الزهر •

بقع لونية تناسجتها يد الشاعر فكانت لوحة انطباعية محدثة سابقة لعهد مونيه وسوراه وسينياك •

على أن الفن الحديث ، اذا سار وئيدا بتطوره ، فان الشعر العربي القديم ، لم يخط نفس تسلسل المراحل ، اذ لم يكن الشاعر لتعوزه تقنية مبتكرة ، فقد كان مجهزا بخيال خاص يدفعه للتنقل بين أساليب التعبير غير حافل بنظام أو قانون ، غير هادف الى مدرسة ، وانما ينتج الشعر لوجه خياله الصرف ، فاذا كان خياله أنسيا ، ضمه جمهور المتذوقين الى أخيلة الدواوين الشائعة ، وان كان خياله وحشيا ، بقي البيت رمزا للخلق الطريف ، تناقله ألسن الرواة جيلا بعد جيل •

وما أشد طرفة في وحشيته عندما يقول :

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى
لكالطول المرخى وثنياه في اليد

بل وما أوحش صورة أبي تمام أيضا في هذا البيت :

أحلامنا تزن الجبال رزانة
وتخالنا جنا اذا ما نجهل

وصورة بشار في هذا البيت :

كأن مثار النقـع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبـــه

وفي قول جرير :

ان العيون التي في طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن أضعف خلق الله أركانا

وهكذا جمعت هذه الابيات جميع خصائص الفن الوحشي : المشاعر الغريزية ، والنشوة الحياتية ، والضياء والتضاد ، والايقاع وقوة البناء ، كما استعارت الصيغ الاساسية والافكار الصرفة ، للتعبير عن شكل امتاز على مضمونه ، ومضمون فاق شكله ولبوسه •

ورب صور تكعيبية ، تبدو الحجوم المجردة فيها واضحة جلية • كأنها من الاتجاه التكعيبي في المرحلة التحليلية •

كقول امريء القيس :

وكشح لطيف كالجديل مخصر
وساق كأنبوب السقي المذيل

واذا أردنا صورة تكعيبية أخرى ، تمثل جميع جوانب الموضوع في وقت واحد ، كما نعل بيكاسو وبراك ، مع استنادها الى بناء هندسي يشمل الابعاد الثلاثة معا • كان لنا مثال لوحة امريء القيس التي صور فيها فرسه ، وقال :

اذا تبصرها الراؤون مقبلة
لاحت لهم غرة منها وتجبيب
وقافها ضرم وجريها جذم
ولحمها زيم والبطن معبوب
واليد سابحة والرجل ضارحة
والعين قادحة والمتن ملحوب

هنا يتجاوز امرؤ القيس التكعيبية لكي يعبر عن بعد أساسي ، هو البعدالرابعالزمني ، ويصل به الى المستقبلية التي حمل لواءها بوكسيوني وكارا وسيفيريني ، بعد خمسة عشر قرنا من الزمان ، وقد أغرم امرؤ القيس بالحركة والاندفاع فلم تكن قصيدة تخلو من البعد الزماني •

مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل
أصاح ترى برقا أريك وميضه
كلمح اليدين في حبي مكلل

قال بيكاسو مرة ، يتملكني العجب عندما نرسم ما نراه من الاشياء ونترك ما نعرفه عنها•• ولكنني أعتقد ان العجب أن يتملكه عندما يرى شعراءنا القدماء ، وهم يعبرون عن مشاعرهم وصورهم بأشكال شيئية أحيانا ، دون أن تكون لهذه الاشياء القيمة الاولى ، وانما القيمة للصورة المعبرة عن غرض الفنان ، كمافيصورة البحتري

ارقالها بعضيدها ، ووسيجها
سعدانها ما وذميلها تنومها

للبحتري

وهذا لبيد أيضا يصور في معلقته الشهيرة سباق الاتان وفحلها فيقول :

فتنازعا سبطا يطير ظلاله
كدخان مشعلة يشب ضرامها

مشمولة غلثت بنابت عرفج
كدخان نار ساطع أسنامها

ففي هذه الصورة تضيع حدود المتسابقين ، لكي تختلط مع الغبار ، ثم لكي يختلط الغبار مع الدخان ، ثم لكي يختلط الدخان مع النار ، وهكذا تتداخل الالوان بتناغم خارق ، لكي تلمع أمام أبصارنا صورة دنيامية تتحرك مع انطباع الفنان ومع انفعالاته وأحاسيسه ، فلم يبخل بلون رقيق كلون الدخان يضعه الى جانب لون الضرام ، ولم يبخل بخط كالسهم مندفعمعريحالشمال ، يخترق الخطوط الملتوية الصاعدة مع الغبار • صورة تعبيرية صرفة لو أن لبيد لم يزد فيها عامل الزمان لقلت انها لوحة لفان كوخ أو فلامينك •

وجدير الا نغفل صورة البحتري للربيع :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

انها صورة بوتيشللي ولا شك ، ولكننا اذا تركنا من هذه الصورة تشخيصها لرأينا الربيع صورة باسمة مشرقة ، استعارت الوان وأنوار الانطباعيين ولكنها عاشت في انفعال الفنان ، فلم يترك الربيع جميلا في ذاته،

بل جعله جميلا في انسانيته •

وصورة أخرى للصنوبري :

الجو بين مضمخ ومضرج
والروض بين مزخرف ومديح
والثلج يهطل كالنثار قم بنا
نلهو بربة كرمة لم تمزج

هي صورة انقلبت الالوان فيها الى عبيق يتضوع من ضمير الشاعر الذي انطلق يزخرف ويوشي الطبيعة بأجمل الالوان الحارة ، يرطبها نثار الثلج الابيض المزرق،ويذيب هذا الرطاب خمر أحمر صرف يجري، بدماء الشاعر الخافقة مع جمال الطبيعة

وثمة صور أخرى على غاية التعبير السحري كصورة أبي تمام :

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه
يكفيك ما غاليت في أنه برد

وصورة بشار :

ان في بردى جسما ناحلا
لو توكأت عليه لا نهدم

أتساءل ما اذا كانت هذه اللوحةلالجريكوأملوديلياني أم لسوتين •

ولا بد من أن تعرض لوحة لابن زيدون أراها قمة التعبير •

وللنسيم اعتلال في أصائله
كأنه رق لي فاعتل اشفاقا

فهنا لم يقصد الشاعر النسيم في ذاته ، وانما أراد ذاته في النسيم أراد أن يعبر عن سقم أحل به وعن بؤس نزل اليه ، فلم ير غير النسيم يقوى باعتلاله ، ويحتمي برقته ، مبرزا مدى حاجته الى من يشاركه ألمه حتى الألم ، ويشاركه علته حتى الاعتلال على ان الفنانين التشكيليين لم يقنعوا بالتعبير عن ذاتهم ، لم يكفهم ان يمثلوا عواطفهم وأفكارهم وآمالهم ، بل ولا جنونهم ، وتجاوزوا ذلك الى أعماق أنفسهم ، الى عقلهم الباطني ، الى لا شعورهم الساكن الفار ، الى خيالهم الشارد الى أحلامهم المضطربة ، وبمعنى أخير لقد استطاعوا تفجير بركان أنفسهم ، فانطلقت حمم الغرائز من عقال كبتها ، وسال ذوب الامل الميؤوس على صفحة شعورهم ، فانتشرت أعلام جديدة في الشعر والفن ، عليها أسماء بروتون ودالي وتانقي وماغريت وسار جمهورهم الى حيث يكشف عن سر النفس منادين ، سريال ، سريال •

كان هذا منذ عشرين أو أربعين عاما ، فهل كان من الشعراء العرب من سبقهم ، ومن أوقف ابداعه على التعريف باسرار هذه النفس ؟ •• الحق انه لم يخل شعر العرب القدماء من التلميح بسر يمنع التصريح به العرف أحيانا والمنطق أحيانا أخرى • فلم تخل أبيات الفخر وأبيات الغزل وأبيات الهجاء من شطحات لا شعورية تكشف الغطاء عن رغبات مكبوتة • وتخيلات خارقة •

من كل زاهرة ترقرق بالندى
فكأنها عين اليك تحدر
هناك تلقى الجود من حيث قطعت
تمائمه والمجد مرضى الذوائب

بيتان لابي تمام كأن دالي استعارهما أكثر من مرة •

كما استعار شاغال من ابن حمد يس هذه الصورة :

انا من بعضه يفوق ابا البا
حث والنجل بعض من نجله
انا الذي بين الاله به الا
قدار والمرء حيثما جعله
فلو انني كنت اعطي المنى
اذا منع البحر منها اللقاء
ركبت الهلال به زورقا
الى أن اعانق فميها ذكاء

وعند المتنبي أشعار كثيرة مليئة لمشاكل النفس العالية التي لم تبغ ما سعت اليه • ولم تمح ما وصمت به ومن يعرف نسب المتنبي ، يدرك أي شعور بالنقص يختفي وراء هذه الابيات •

ولكن الصوفيين من الشعراء ، كانوا الصق في أبياتهم بسرهم وبعواطفهم الغريبة ، فعبروا عن الخير والشر عن الحياة والموت عن الزماني والابدي عن التبتل والغزل في صورة واحدة ، ليست مغلقة كل الاغلاق ، وليست صريحة كل الصراحة ، لانها ما زالت من تعبيرات النفس المستسره .

ولننظر الى ابن الفارض وهو يصور لوحة يمتزج فيها حبه الألهي بحبه الجنسي ، وتتصل فيها روحه الفانية بروح الله الخالدة ، وينظر الى هذا كله بعين نفسه الباطنة ، فلا يستطيع التفريق بين الذات والموضوع ، ولا يستطيع التفريق بين المطلق والمشخص ، ومع هذا فاننا نرى له لوحة ، ليست هي حكم نوم ، وليست هي حلم يقظة ، ليست حقيقية في ذاتها وانما هي انطلاقة لا شعورية صبها بقالب شعوري شاعري :

ابرق بدا من جانب الغور لامع
أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع
واني مذ شاهدت في جمالها
بلوعة اشواق المحبة والع
فيا أيها النفس ، التي قد تحجبت
بذاتي ، وفيها بدرها لي طالع
لئن كنت ليلى ، ان قلبي عامر
بحبك ، مجنون بوصلك طامع

ويفتن ابن الفارض بالصيغ السريالية ، كما كلف بالمحتوى السريالي ، فيصور كثيرا من الصور الصغيرة ، يتقصد فيها غموض الفكرة ويترك الناظر او السامع ملتاثا محتارا ، يبحث عن المعنى فلا يجده ، وينقب بين الاشكال عن صورة فلا يعثر عليها ، وهذه صورة من هذه الصور الصغيرة .

ما اسم بلا جسم يرى ، صورة
وهو الى الانسان محبوبه
حروفه أنى تهجيتها
فكل حرف منه مقلوبه

وأنا لا استطيع فهم ما قيل ، حتى ولو أوضح لي ابن الفارض انه انما يعني النوم ، فثمة صورا أخرى تشع من خيال الشاعر لكي تضيء أحرفا مصاغة كاحجية من عهد الاساطير .

أما الشعر التجريدي ، فانني أتركه للشعراء القدامى الذين اهتموا بالتعابير الصرفة الشاملة ، وكانوا أصدق في تصوير الاشياء والاحداث مطلقة بعيدة عن سيطرة الواقع وتحكم العقل ، فكانت الكلمات تنز من خيالهم مستعيدة مختلف الصور ، مستفيدة من غريب التسميات الشائعة في تلك الايام ، فتبدو وكأنها كانت وحي بيكاسو رة أو بول كلي مرة أخرى .

جهمية الاوصاف الا أنهم
قد لقبوها جوهر الاشياء
مودة ذهب أثمارها شبه
وهمة جوهر معروفها عرض

أبيات تجريدية لابي تمام أيضا ، مضمونها أكثر تجريدا من صياغتها وصياغتها أبعد عن التمثيل من مضمونها ، هي لوحة لم يعدم فيها معنى بدىء قديم ، تماما كما ترجع اللوحات التجريدية به اليوم الى اصول الجمال الاولي ، والى قواعد التعبير المطلق ، لكي تقدم انفعال الفنان جاهزا ، ولكي تعبر عن قوة ابداعه مباشرة ، دون تزويق أو تنميق . وهذه صور ثلاثة ، وهي وان كانت ذات موضوع واحد ، الا أن الصيغة التجريدية تجعل لكل لوحة شخصية منفصلة .

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة
ولا أطما الا مشيدا بجندل
كأن ثبيرا في عرانين وبله
كبير أناس في بجاد مزمل
كأن ذرى رأس المجمر غدوة
من السيل والاغثاء فلكة مغزل

هذه لوحة رسم فيها مرؤ القيس ، أثر الغيث الغزير على قربة تيماء لقد أصبحت بلقعا الا من أبنية حجرية صامدة لا صفة لها ، وجبل شامخ بألوان مخططة ، والى

البقية في الصفحة (٥٣)

الشاعر

شعر : حسين حيدر

لا تلم شاعرا اذا ما توارى　　وتسقط عن سره ـ الاخبارا
ثم حوم في افقه المجدب الخصب خيالا ، وفكرة ، واصطبارا
ثم حرك أشلاءه ـ تجد الظلمة　　من شلوه النبيه ـ نهارا
ثم لملم ظنونه عالما ـ حرا ـ　　نبيها ـ منورا ـ معطارا
ثم كشف عن سره تجد الاعصار　　في صمته المريب ـ توارى

★ ★ ★

لا تلم شاعرا اذا ما توارى　　وتسقط عن سره ـ الاخبارا
فهو من عالم على الارض ـ منسي　　مدل في فنه ـ لا يجارى
ان تمشت اشعاره في الصحارى　　تركتها ـ الاشعار ـ غير صحارى
واذا حومت على واجم الثغر　　سقته ـ الافرح ـ والافترار
واذا دغدغ الشباب سطورا　　دغدغوها ـ وقد تمطت (عذارى)

★ ★ ★

لا تلم شاعرا اذا ما توارى　　وتسقط عن سره ـ الاخبارا
آلة الفن أن تكون حصيفا　　سر مع الفن ـ لا تكن خوارا
وسل الشاعر الحبيس لماذا　　لم ينمنم لحفلكم شعارا
فاذا لم يشح بوجه ـ ولم يحبس　　حديثا ـ ولم يدمدم مثارا
فاستمع كيف ينحر الشاعر الشعر　　وكيف الاشعار تمسي ـ أسارى
واعلم السابق الفيصح ـ أيرضى　　أن يقول الشهود ـ بز (حمارا)
يرغب الشعر أن يروض آذانا　　وزعم الآذان ذلك عارا
وغني بالشعر ذو الشعر عن　　قوم تظن (التنطس) (الاجترارا)

★ ★ ★

لا تلم شاعرا اذا ما توارى　　وتسقط عن سره ـ الاخبارا
ثم قرب من نعشه الخائر المنهار　　واغرز في اسه ـ مسمارا

تاريخ ٥ـ٧ـ١٩٦٠　　حسين حيدر

قريتي

شعر : احمد سليمان معروف

قريتي جدول من العطر ينساب ... بـأيك رطب الضفاف بليل
قريتي نفحة من الملأ الاعلى ... ولحن منغم الترتيل
قريتي دفقة من النور تنهد ... على مسرح الشعاع الطليل
قريتي عالم تماوج بالعطر ... سخي العطاء والتنويل
طفت فيه أعب من حسنة الهاني ... وأشبعت من رؤاه فضولي

★ ★ ★

أنت ناي تنداح أمواجه الخضر ... بموج من النسيم العليل
وقطيع من الشياه ورعيان ... وآثار مزود محلول
أنت سرب من الصبايا على العين ... ندي بالبشر والتهليل
يعرض الاثم من حياهن مذعورا ... ويفضي بحيرة وذهول

★ ★ ★

كلما أظلمت دروب مسيري ... ونبا مضجعي وعز خليلي
وسئمت الحياة تزخر بالناس ... بعيش مموه مملول
حملتني اليك أجنحة الشوق ... فأنكرت غربتي ورحيلي
ونماني اليك حب دفين ... صادق المنتمي كريم الاصول
وتنسمت في ربوعك ريا الخلد تسري في خاطري كالشمول
وتراكضت في مرابع أترابي ... وآست مرتعي ومقبلي
حاطني في رباك سحر غريب ... وطواني بسره المجهول
أتملى ما شاء لي جشع العين ... وأروي صبابتي وعليلي
فيك أرضيت شهوة الحب هوجاء وأغضبت حاسدي وعذولي

★ ★ ★

بيتنـا منك كالاريـج من الزهـر وكالدل في ابتسـام الخجول
كالشراع المسحور تدفعه الريـح فيمضي كالتـائـه المحمـول
وادع يطمئن في جبهـة السـفـح طـويل الامعـان والتأميل
ترامى عـلى جوانبـه الخضر ظـلال مخمـورة التدلّيـل
وطيـوف من السـحاب منيخـات على السفح مرخيـات الذيول
حيث تحنو الاشـجار تحتضن النبـع وفـاء لريـه المـأمول
والازاهـير حانيـات عـلى الضفـة سـكرى من نشـوة التقبيل
والفراش المسحور يسرق السـمع ويهـوي بنورهـا المغسـول
والعصافير حـالمات على الاغصـان تشـدو في بـكرة وأصيـل

★ ★ ★

قـريتي تـأنـق الله صنعـا برباهـا فطـاب فيهـا نـزولي
قريتي باركت ثراها يـد الله فغـاضت بـالمنهـل السلسبيل
في رباهـا أنشدت أول أشعـاري وجررت للتصـابي ذيولـي

★ ★ ★

عيشـة هــذه المبـاهج جلت عن ضروب التشبيه والتمثيـل
لو تراهـا أيقنت أنك في الخلـــد ، وأنـكرت (بدعـة) المستحيـل

الشعر العربي القديم والفن الحديث

لتمة ما نشر على الصفحة (٥٠)

الامام كتلة كبيرة هي هضبة المجيمر ، أصبحت في لوحته مغزلا تعشقه جرف السيل عوض شعث الخيوط .

ومنظر مشابه رسمه زهير :

أثـافي سفعـا في معرس مرجل
ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

رموز ملونة لآثار منظر غامض على صاحبه وهو يعبر عن غموضه بهذه الرموز المترجرجة .

والصورة الثالثة للبيد :

عفت الديـار محلهـا فمقامهـا
بمنى تأبـد غولهـا فرجـامهـا
فمدافع الريـان عرى رسمهـا
خلقا كما ضمن الوحي سلامها

هذه صور أحببت أن ألفت اليها انتباه العاملين في حقل الادب القديم ، ولقد نظرت اليها بعين الناقد الفني الذي استعرض مختلف الاتجاهات الحديثة ، ثم تلفت الى تراثنا القديم فرأى فيه صورا بارقة ، تلمس فيها اصول اتجاهات مختلفة ، لعلها أكثر خصبا من اتجاهات الفن نفسه . ولـكي أكون على يقـين من رؤيتي ، عرضت أمامكم ما رأيت ولـكم يسعدني أن يأخذ هذا الموضوع حظه من المختصين وياحبذا دراسة جمالية تقية تشمل الشعر العربي ، فتعطيه حقوقه الفنية كاملة وتعرفنا على اصالة الامة العربية في الفن .

الاستاذ عفيف بهنسي

الشعر البلغاري الحديث

بقلم : افريم كرانفيلوف

ان الصراع الثوري الطويل الذي خاضعه الشعب البلغاري ليتحرر من الاحتلال العثماني قد خلق عددا عديدا من الثوريين والمقاتلين والشعراء الملهمين والنشيطين ٠ والبعض من هؤلاء قد انضموا فعلاالى الثوار محققين بعملهم هذا الوحدة بين العمل والكلام ٠ وهكذا كانت اشعارهم تنبعث من قلبهم بنفس العفوية التي كان يبديها الشعب وهو يعبر عن أفراحه وأحزانه بواسطة أغاني شعبية رائعة ٠

تحت الهام حياة الشعب اليومية وبصراعه في سبيل تحريره الوطني كان الشعر ينمو ببساطة طبيعية قوية٠ وقد سن الشعر البلغاري منذ اللحظات الاولى تقليدا ساميا بتعبيره عن أحزان وآمال وصراع الشعب ٠ وقد تبع طيلة نموه طريقا بطولية وواقعية٠ ان المدارس والنفوذ المتداعي لم يحولا كثيرا بين الطريق التقليدية التي تبعها الشعر البلغاري ٠ وهكذا نرى بأن التيارات الفردية والرمزية التي أثرت على عدة شعراء بلغاريين موهوبين في اطار تاريخي معين لم يكن لها نفوذ جذاب الا أثناء وقت قصير اما ازدهار الشعر البلغاري الواقعي والجهادي والامين للروح الشعبية وللتقاليد التي خلقها شعراء النهضة البلغارية (مع أشهرهم « كريستو بوتيف ») ٠ فانه يستند على الشعراء البروليتاريين

ان المعارك التاريخية التي خاضها الشعب العامل تحت قيادة الحزب البلغاري قد الهمت الشعراء الملهمين الذين يتغنون في مؤلفاتهم بأناشيد الثورة وبرومانطية النصر المرتقب ٠ اننا نرى بوضوح عظيم هذه النزعة الغنائية والرومنطية الثورية التي تميز الشعر البروليتاري في الايام العصيبية والحماسية التي سبقت ثورة ايلول سنة ١٩٢٣ ضد الفاشية في اشعار « كريستو سمير تسكي » المنوعة والغنية ، هذا الشاعر الذي توفي في زهرة عمره ٠

أثناء الصراع الذي حمي وطيسه ضد الديكتاتورية الملكية الفاشية ، بعد الثورة التي اخمدت بالدم ، ظهر شعراء جدد لهم قيمتهم وعلى غرار الشعراء الذين عاشوا في فترة الصراع في سبيل التحرر الوطني، فأنهم لايكتفون بالكتابة ولكنهم يساهمون مساهمة فعالة في الكفاح ٠

وقد كان شعارهم كما قال أحدهم « كريستو رادفسكي » الانشاء مثل « سمير تسكي » والموت مثل « برتيف » كما ان اعظمهم شأنا « نيقولا فابترازوف » لم يكتف بتمجيد المعركة بل انه وقع مجمل اشعاره بدمه عندما سقط تحت رصاص الفاشيين ٠

هذا هو مجمل التطور الذي نر به الشعر البلغاري وهذه هي تقاليده التاريخية ٠

وبعد انتصار الشعب في ٩ ايلول سنة ١٩٤٤ ، فقد تبع أكثرية الشعراء المهمين خطوات الشعب البلغاري وقد تحسسوا الآفاق التاريخية المنفتحة أمام هذا الشعب مستنيرين بالعقل وبالتحول العميق في كيانهم ٠ وقد تبع أكثرهم خطة الواقع الاشتراكي الذي سيتصل بمضمون انتاج شبابهم النقي وباحاسيسهم الداخلية ٠

وقد نما الجيل الاصغر بينهم في الفرق الثورية او في السجون الفاشية او في ميادين الحرب الوطنية (١٩٤٤ ـ ١٩٤٥) أو اخيرا في فرق الشباب ٠ وقد علمتهم الحياة مشاكلها اليومية الواقعة ٠

ولهذا نرى بأن التردد والشكوك التي عانى منها شعراء الديموقراطيات الشعبية الاخرى بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي لم تجد لها مرتعا لدى الشعراء البلغاريين ٠ ويجدر القول بأن تقديس الشخصية والنزعة الاختزالية والمبدأ الاعتقادي التي تنجم عن ذلك قد طبعت أعمالهم ٠ ولكن هذه التأثيرات السلبية قد تهيء تلافيها دون ان يؤدي ذلك الى ضرورة اعادة النظر او الى مجرد التقيد الشكلي٠ ولم يتخل أي شاعر بلغاري ذي قيمة عن أساليب الواقعية الاشتراكية ولم يحاول ان يزيلها من مؤلفاته ٠

والآن ما هو العنصر الذي يميز على أحسن وجه ازدهار الشعر البلغاري بعد ايلول سنة ١٩٤٤ ؟ انه بدون ادنى شك تطلع الشعراء الى المسؤولية والى الامانة للشعب البلغاري ومثله العليا ٠ اننا نجد معنى هذا المجهود العظيم الذي قام به هذا الجيل بهذه العبارة التي قالها « فلاديمير بانشيف » اصغر شعراء هذه الحقبة « يجب ان نكون الهوائي اللاقط لهذه الفترة » ٠ ولهذا نرى لكل حدث هام من حياة الشعب صدى في مؤلفات شعرائنا

الذين نظموا أروع قصائدهم في فترات الحماس الشعبي وفي أهم فترات سير الشعب نحو الاشتراكية ٠ وهكذا فقد ساهم هؤلاء الشعراء في هذا التجديد بالمشاعر وعبروا عن موسيقى جيلهم ٠

أثناء الحرب الوطنية بينما كان الجيش البلغاري الفتي يحرز النصر تلو النصر على العصابات الغازية كان عدد كبير من أكبر الشعراء يقاتلون كمتطوعين في مختلف الجبهات ٠ كل معركة وكل انتصار كانت تهم أبياتنا رقيقة ومؤثرة ٠ وهذه الابيات تحفظ حتى اليوم عذوبتها وقوتها ٠ وقد كتب كل من « ملادن ايساييف » و «انجل تودوروف » و « لامار » و « فيسيلين هانتشبف » و « رادوى رالين » و فاليري بتروف » اجمل أشعارهم عن جيش بلغاريا الشعبي الفتي وعن انتصاراته ٠

وهذا الحدث تجدد في حماس وحدات الشباب للعمل(١) اذ نحن نرى العمل يحتل مكانا بارزا في اشعار « ايفان زادويف » و « دوبرى يوتيف » و « فاتو راكوفسكي » الخ وخاصة فيما يتعلق ببناء مدينة الشباب « ديمترو فجراد » ٠

ومن جهة أخرى فان الانتصارات التي تحققت في تنفيذ مشاريع الخمس سنوات تلك المشاريع التي حولت وجه بلادنا وخلقت الانسان الجديد ، الانسان الاشتراكي تجد لها مكانا بارزا في هذه الاشعار الجديدة ٠

لن نطيل الشرح عن الماضي القريب المليء بالحماس والثقة بالمستقبل ، بانتصار العمل كما اننا لن نطيل الشرح عن أشعار أفضل شعرائنا الذين تغنوا بهذه الانتصارت وألفوا أشعارا غنائية مثيرة ٠ ان سرعة البناء التي تسير عليها بلادنا لها مكانها في مؤلفات جميع شعراء الجيل الجديد تقريبا ٠

وما هي العناصر التي تؤثر على الشعر البلغاري المعاصر؟ أن عدد الشعراء و نهم القراء للمؤلفات الشعرية تجد لها تفسيرا في اندفاع شعبنا وراء أحلام مستقبله وفي وتيرة حياته العامة ٠ ان عدد الدواوين والمؤلفات الشعرية يزداد باطراد ٠ بين سنتي ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ ظهر ٣٠ ديوانا لشعراء معروفين مثل : « ن ٠ فورناديبف » و « آ ٠ جيروف » ولشعراء مبتدئين مثل : « داميان داميانوف » و « ب ٠ كرانجوف » و « ل ٠ ليفتشيف » الخ ٠ أما الشعراء الذين ذاع صيتهم بعد التحرر فانهم ينتجون انتاجا غزيرا وخاصة : « ديمتري فيتوربيف »و«جيورجي دياجاروف » و « بافل ماتيف » و « ودبوبرى بوتيف » و « دافيد أوفاديا » و « ايفان رادويف » وآخرون كثيرون الذين عبروا بحساسية بالغة عن كل حدث هام من حياتنا ٠

والآن ما هو اتجاه الشعراء البلغار المعاصرين ؟ ان اختيار المواضيع تدل على موقف الشاعر تجاه الواقع وعلى وجهة نظره وعلى مصالحه النفسية وخاصة على اتجاه عواطفه ٠

ان تنوع المشاكل التي يتعرض لها المجتمع الاشتراكي تفسر الامكانيات الضخمة والمتفرعة التي تظهر أمام تثبيت الشخصية٠ان شعرائنا يتغنون بهمس الغابات وبخلجات الحب الاول ٠ ويتغنون أيضا بالكفاح ضد الفاشية (من ١٩٤١ الى ١٩٤٤) وبهذه الفترة من التاريخ التي التجأ فيها أفضل أبناء بلغاريا الى الجبال ليسلكوا طريق المجد التي ستقودهم الى الحرية والتي تشرق كالشمس الساطعة على قمم الجبال ٠

لقد نظم الثائر « ف ٠ اندرييف » أشعارا قوية يمجد فيها شجاعة رجال العصابات٠كما ان السجين السياسي « جيورجي دياجاروف » تغنى ببطولة أعداء الفاشية في السجون ولا يزال شعراؤنا يجدون اليوم منبعا لا ينبض في هذا الماضي البطولي ٠ وعلاوة عن القصائد التي تتغنى بجمال الطبيعة البلغارية وبحب الوطن فان الشعراء البلغار يكتبون أشعارا تجد الهامها في حياة الارياف الجديدة وفي شاعرية كيانهم الداخلي كما في الحياة السياسية والجهادية ٠ ان الكفاح في سبيل السلم الذي يعد من أهم جهود عصرنا ، قد جذب اليه بعضا من أفضل شعرائنا الذين خصصوا له قصائد رائعة ومؤثرة ٠ ويجدر بنا هنا التكلم عن « لودميل ستوبانوف » و « اليزابيت باجريانا » و « دورا جابية» وكثيرين آخرين٠ وأثناء توتر الوضع في الشرقين الادنى والاوسط أثناء الاعتداء الاستعماري فان شعراء بارزين مثل « ملادن ايساييف » و « ب ٠ ماتييف الخ ٠ قد لبو بلهفة نداء هذه الفترة التاريخية ونظموا قصائد تعبر عن حقدهم على المعتدين ٠ وبشكل عام فأن اشعراء البلغار يشعرون بكل حدث شعري ويحسبون بجوه العابر والمؤثر٠ وهذا ما يفسر تنوع مؤلفاتهم ذات المدى الاجتماعي العميق ٠ فأن الشاعر يتغنى بما يؤثر به وبما يمكن ان يؤثر باكثر عدد يمكن من القراء ٠ وماذ يهم هذا العدد من القراء أكثر من هذه الاحداث الهامة والمثيرة ؟

ان الحركة الواسعة والرامية الى اختصار فترات تحقيق مشروع السنوات الخمس هذه الحركة التي ولدت بين

---

(١) منذ سنة ١٩٤٦ نشأت في بلغاريا حركة وحدات المتطوعين الشباب للعمل التي لا تزال حتى اليوم ٠ وهؤلاء الشباب واكثرهم من طلاب المدارس الثانوية والجامعات ، يشتغلون بين ٣٠ و ٤٠ يوما بالسنة ٠ وقد بنوا عدة طرقات وسدود الخ

بين طبقات الشعب والتي قادها الحزب الشيوعي قد الهمت شعراؤنا وكتابنا ٠ اذ ان هذه « الحركة الكبيرة » كما يسميها « تودور جيفكوف » السكرتير الاول في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري ، هي حدث هام جدا في الميدان الاقتصادي والنفساني ٠

فالشعراء الشباب الذين ينتمون « لنادي الكاتب الشاب » الذي أسسه أتحاد الكتاب البلغاريين قد قرروا زيارة ورشات البناء المختلفة او المزارع التعاونية ليراقبوا عن كثب الرجال والعمل ٠ وحتى الشعراء المسنون فانهم على استعداد للذهاب الى الورشات ليسوا فقط كمراقبين ولكن أيضا بغية المشاركة بقسط وافر من العمل مثل الاكاديمي « لودميل ستويانوف » الذي بعد طريق طويلة ووعرة صاح « اني بحاجة لرجال » ومثل « لامار » المليء بالحيوية وبالشهامة ومثل « اليزابيت ياجريانا » و « وخريستو رادفسكي » و « نيقولا فورناديبف » الذين أخذوا جميعا بشاعرية البناء وبحماس الحركة الشعبية الكبيرة ٠

ان البطل الشعري الذي نراه في الشعر البلغاري المعاصر هو الذي يوجه الحياة وجهة جديدة والرجل الذي يحقق هذه الحياة ٠ فأنه ، بدون أدنى شك ، يختلف كلية عن بطل الشعر الماضي ٠ وما هي فضائله ؟ انها البطولة الجديدة الخالية من كل تصنع وزخرفة خارجية والملیء بالتواضع وبالبساطة الطبيعية واليومية ان هذا البطل يمثل آلاف الرجال الذين يبنون معاملنا ويقودون بكل مهارة وهمة جراراتنا والذين يحرسون حدودنا بانتباه واستعداد ٠ ليس هذا البطل الفردية بل انه يرى شخصيته في المجتمع ويختلط شرفه مع شرف المجتمع كما ان آماله ورغباته لا تختلف عن آمال ورغبات الشعب ٠

اننا نستطيع اليوم واكثر من أي يوم مضى ، ان نتكلم بحق عن الرجال الذين يجدون الهامهم في أعمالهم وليس في البحث عن أطماعهم الشخصية في التيار التاريخي الذي يحملهم

وهذا البطل الذي نتكلم عنه فأنه يغني شخصيته يوما عن يوم فتصبح هذه الشخصية أكثر عمقا وتنوعا ٠ انه ينطق بلسان حياة الشعب وماضيه البطولي ومستقبله السعيد ٠ انه يعيش ويتنفس مع مشاكل عصره ٠

ما هي مزية المؤلفات الشعرية التي ظهرت أثناء السنوات الاخيرة من حيث شكلها وكتابتها وابتكار العواطف الشعرية ؟

نستطيع القول بان كل المؤلفات الشعرية في أدبنا المعاصر يحمل تقريبا علامة الواقعية ٠ بالطبع يوجد شعراء يستندون أكثر من غيرهم على الوسائل التأثيرية ولكن عددهم قليل جدا وقيمة مؤلفاتهم لا شأن لها لكي تؤثر تأثيرا عميقا على الشعر البلغاري المعاصر ٠

ان الواقعية الاشتراكية تقدم للشعراء امكانيات واسعة للتعبير ٠ وعلاوة عن هذه المواضيع الغنائية والبطولية يعبر شعراؤنا عن حياة كيانهم الداخلية بجانب الهجاء اللاذع والاساطير المليئة بالحكمة فانهم يتغنون بنشيد الكفاح ضد الفاشية ٠

ان الشعراء « خريستو راديفسكي » و « انجيل تودروف » و « ملادن ايساييف » و « بافل ماتيف » و « الكسندر موراتوف » و « جيورجي دجاجاروف » و « دافيد اوفاديا » و « ديمتري ميتوديبف » و « دوبرى بوتيف » وكثيرين آخرين يتكلمون بشاعرية لا يعلوها الفتور عن المواضيع السياسية بشكل اعترافات شخصية ٠ انهم يعبرون عن عواطفهم الداخلية حول الوقائع التاريخية التي تملأ حياتنا الحالية ٠ وكثيرا ما يصعب التميز بين قصائدهم السياسية والشخصية ٠

وتتفوق الافكار القلقة او الاستفهامات او التأثيرات العفوية حسب الشخصيات ولكن كل هذا نجده أحيانا على وتيرة واحدة ٠ عندما نتكلم عن الافكار في الشعر فاننا نعني الافكار التي تكلم عنها « بيلنسكي » حيث قال ٠ ان الفكرة في الشعر ليس تفكيرا ولا وصفا ولا جدلا ولكنها حماس وفرح وحزن وألم ويأس ودموع ٠ ان التركيب والفردية والوحدة الداخلية في أفكار وعواطف البطل الشعري لا نجدها الا في الشعر ٠ ان فكرة الشاعر تزداد حيوية بالعواطف وتعبر عن موقفه تجاه الواقع ٠ ان أفضل شعرائنا يتوقون الى دمج ليس فقط تأثرات العصر بل أيضا مشاكله ومهامه ، في نفسهم القلقة ٠

وكثيرون بين هؤلاء الشعراء يحاولون بدون كلل خلق اشبال جديدة للتعبير عن شخصيتهم خلال الصور الجديدة وايقاعات جديدة ونبرات جديدة وقوافي مبتكرة ٠ وبعض هؤلاء الشعراء يقعون في الشكلية ولكن الموهومين بينهم يكتسبون نجاحات باهرة ٠ ويجدر بنا ان نذكر في هذا المضمار أبحاث « الكسندر جيروف » و « الكسندر موراتوف » و « فاليرى بيتروف » و «بوجوميل رانيوف» و « بوجيدار بوجيلوف » و « ايفان رادويف » الخ ٠

ما أغنى الشعر البلغاري الحديث وما أكثر تنوعه ! تمتاز قصائد « نيقولا فور ناديبف » بقوتها وتصويرها ٠ أما اشعار « ملادن ايساييف » فتمتاز برقتها وصدقها وحساسيتها ٠ أما شاعراتنا فانهن يتغنين بحرارة وحنان – هذا الحنان الذي لا يعرف سره غيرهن – ببهجات الامومة

العميقة ، بالايمان بالمستقبل وبالسلام وبحلاوة الحياة العائلية • لقد نظمت شاعرات مثل «اليزابيت باجريانا» و « دورا جـابية » و « بلاجـا ديمتروفـا » و « نيفيتا ستيفانوفا » و ليليانا ستيفانوفا » و « ستانكا بنتشيفا» ليس فقط قصائد مؤثرة ولكنهن خصصن أشعاراحماسية للبناء ولقائدنـا ومربينا المحبوب « جورج ديمتروف » وللانسان الذي يتحفز لاجتياح النجوم •

وبجانب الشعراء والادباء المعاصرين (بكل ما في هذه الكلمة من معنى) مثل « الكسندر موراتوف » يوجـد شعراء أصليون يتغنون بالارياف مثل «نيقولاي ستايكوف» و « خريستو كانزاروف » • انهم يمجدون حياة أريافنا الجديدة • ولكن لكل منهم شخصية فردية واضحة • « فستا يخوف » يحب الالوان العديدة والباهرة للريف في أوج نموه بينما أشعار « كانتزاروف » أقوى وان كانت معتدلة وعلى نمط واحـد الا ان تعلق هـذين الشاعرين بالريف وبالحياة الجديدة يقرب بين طبيعتيهما •

ومن جهة أخرى يمجد شعراء كثيرون المناظر البلدية والجبال والانهر ويجدر بنا ان نذكر هنا، بين المشهورين، « لامار » كما ان شعراء رقيقين مثل « فاتوراكوفسكي » و « ايفان دافيد كوف » نظموا قصائد نجد فيها همس الغابات وضجة البحر الخالدة وزرقة سماء الوطن • ومن جهة أخرى نرى في قصائد « ج • دجاجاروف » الحديثة الموسيقية والعصبية شكلين متعاكسين لحساسية الشعرية: الاحـلام الحلوة وبطولـة الـواجب ، رومانطيقية الحب وضجيج البناء •

تشكل قصائد «داميان داميانوف» حدثا غريباومبتكرا في الشعر المعاصر ان هـذا الشاعر لشاب الـذي يلازم السرير من المرض منذ سنين يراقب العالم خـلال اطار نافذته الباردة والقاتم • ولكن قلبه ينبض مع الحياة • انه يحس الاندفاع نحو المستقبل الذي يعم البناء عندنا• ان نظراته تحدق به بشجاعة • ان الصور الصافية التي تكثر في اشعاره تنم عن ارادة قوية وعن حيوية خارقة• ان هذا المريض الشاب يحلق على أجنحة عصره ولا يدع أحدا يسبقه •

ان التحليل السريـع يرينـا بعض الضعف العقائدي والفني وخاصة الجري وراء الخارق الذي يقود أحيانا بعض الشعراء نحو الشكلية • ونجد هـذا خاصة عند شعرائنا الشباب مثل «سلافتشو تشرنيتشف» و«ديمتري دوبليف » الخ •

كما اننا نجد عند بعض الآخرين عدم الابتكار في البحث عن الصور وفي وسائل التعبير • ويجدر بنا ان نلاحظ هنا بـان هؤلاء الشعراء انفسهم الذيـن كانوا ينظمون أشعارا ذت نزعة اختذالية باهتة وكانوا لا يهملون أي موضوع حسب مناسبات تلك الايام ، قد وقعوافي الطرف الآخر من الاغلاط اذ يحاولون نظم أشعار مجردة لا صلة لها بالحياة ذات نزعة اختزالية أيضا • انها اشعارمقلدة ومبتذلة •

هكذا نجد في ديوان شعر « كليمنت تستاتشيف » و « بوجدان بوتيف » الخ • الربيع يأخذ شكل حصان يعدو بسرعة او يختلط مـع غنـاء المزاريب الخ • ان التأثير وتقليد الاشعار الاجنبية تقود الى تفاهة صور الكلمات فيضيع معناهاكماتضيع قوتها التأثيرية ونضارة الصورة•

ما هو تفسير هذه العيوب الموجودة في الشعر البلغاري الحديث ؟ نجده في عدم معرفتهم للحياة معرفة تامة وبعدهم عن الواقع وهربهم أمام مشاكل حياة عصرنا وبقاء الشاعر غريبا عن روح هذ العصر •

والآن نستطيع ان نلخص الشعر البلغاري الحديث في وضعه الحالي كما يلي :

بالرغم من ضعفه ، انه يمر الآن دون أدنى شك بفترة ازدهار قوية بفضل الروابط القوية والوثيقة التي تربطه بالشعب • ومن جهة ثانية فان تأثير لشعر السوفييتي القوي والحي والصحيح له أهميته في هذا المضمار •

ان الشعراء البلغار يتلقون في هـذه المدرسة التعمق الفكري والتعلق بالمبادىء والمثل العليا ويبحثون عن «أسرار» المهنة التي بدونها لا يتملكون الشعر كأربابه •

وبفضل هذه الروابط نستطيع أن نفخر اليوم بالنجاحات الباهرة التي توصل اليها شعراؤنا في الحقبتين الاخيرتين ، الذين يتغنون بعفوية رائعة بجمال وبطولة حياتنا •

ان خريستو رادفسكي ، واليزابيت باجريانا ، ونيقولا فورناديف ، وانجيل تودوروف ، وملادن ايسايف ؛ وبين الشباب: فاسيلين هانتشيف، وفاليري بتروف، والكسندر موراتوف ، وبافل ماتيف، وجيورجي دياجاروف، وديمتري متيوديف ، ودافيد اوفاديا ، ودوبري بوتيف ، وايفان رادويف ، وفلاديمير باتشيف ، وخريستو كاتزاروف ، وسلاف كاراسلاتوف ، وآخرين غيرهم يتبعون كلهم هذه الطريق •

الا أن اندفاع الشعر البلغاري لم يبلـغ القمم التي وصلت اليها بطولات العمال • ان الشعر لم يتجاوب بعد مع الحياة بصورة كاملة • ان مآسي البطل الشعري وتنوع عواطفه لم تتجاوب بعد مع غنى وعمق وكمال الانسان الحديث •

ولكن الشعراء البلغاريين المعاصرين متعلقون بشعبهم وبالتالي أمينون على التقاليد العظيمة التي يتحلى بها الشعر الوطني • ان هذا التعلق وهذه الامانة سيعطيان أجنحة للالهام وسيخلقان التأثرات العميقة والدائمة والافكار القلقة التي تتغذى منها كل مدرسة شعرية تتجه نحو العظمة •

وجوه جديدة

ناجي

خديجة يحيى

« مهداة الى جميع فتيات أمتي الصاعدات في طريق الثورة نحو الشمس والبطولة

١

في أمسية لطيفة ، ضمتني وأسرة تحرير هذه المجلة ، التففنا في حلقة نتدارس بعض مشاكل المجلة والتحرير · وفي ثنايا الحديث طرقنا موضوع هذا الباب الذي قدمت المجلة فيه وجهين شابين في عدديها الاخيرين بقلم احدى الزميلات المحررات ، ووجدت نفسي ، وهي النزاعة دواما الى الطبيعية الخالصة ، أتحمس دون أن أحافظ على « جسور العودة » لانني في الحق أميل الى الفلسفة وصرامتها مني الى السياسة ومداوراتها ، وحيث انصهرت الفلسفة والسياسة في العصر الحديث في بوتقة واحدة ، كمثل ما فعل قديما افلاطون وديكارت ، فقد صار لزاما علي ألا آبه بهذه « الجسور » وقد اتسق قطبا الفلسفة والسياسة في سلوك واحد · وكعادة رؤساء التحرير قال لي صاحب هذه المجلة : « لم لا تأخذ اذن هذا الركن ؟ » عله بذلك يهدىء من ثورتي عليه ، فأجبته بحزم وقوة : « انني أقبل ! » فهل كان يا ترى قبولي عرضه المغري صفقة رابحة أم خاسرة ؟ في الواقع ، لقد شعرت ، بعد أن رويت قليلا ، وتبينت صعوبة العمل في هذا الركن الذي يقدم للجماهير « وجوها جديدة » أني ورطت نفسي في حرج كبير ·· ولكنني لن أدع هذا المأزق يحدث بي مثل مايحدث لسرطان (غرابسوس فاريوس) حين تقع احدى أرجله بين الصخور فيبترها بترا ذاتيا نفسانيا

وسأبدأ تحرير هذه الزاوية بادئا برفيقة لي في الثورة : الآنسة المهذبة خديجة يحيى ، وأنا على أتم وعي بصعوبة هذا الموضوع وعوصه ، كمثل الضارب في ديجاء الظلمة وبيداء الربع الخالي ، ويقيني أن شابا يتحدث عن الشباب ، ويتعرض لاهم مشكلات الجيل الجديد ، دون أن يتوانى لحظة عن بذل أقصى مايستطيع من جهد ورعاية، سيقيني سهام نقد أولئك الذين لا يؤمنون بأن في امكان بعض القوم أن يتدارسوا الشباب ويحاولون حلها ·

٢

واذا كان تبني هذا الباب فيه من الحرج والصعوبة ما أشرت اليه فكيف في الحديث عن وجهنا الشاب هذه المرة : خديجة يحيى ؟ والحق أن هذه الفتاة صورة عن هذا الجيل العربي الناهض ، ووردة من أوراد الحقل العربي المتفتحة من جديد ، فاذا كنت أتحدث هنا عن خديجة فلست في الحق أصور شخصا بعينه قدر ما أرمي الى الحديث عن انموذج معين من الشباب، عن ظاهرة اجتماعية في نسيج الحياة العربية الجديدة ·

الفصل الاول :

قد التحفت أوراقها وتطامنت
على نفسها في رقة وتواضع
مكحلة الاجفان يقضي حياؤها
عليها باغضاء اللحاظ الخواشع
وهل كبرياء الدوح تعدل نظرة
للمومة في ثوبها المتواضع

كان لطيف القسمات ، بديع الافترار ، هادىء التعابير، حين طالعني وجه تلك الصبية النحيلة القوام ، الرشيقة القد ، الدقيقة الاطراف ، حيث كانت تجلس هناك وسط دوحة خضراء تتفتح من كمها في مطلع النيروز ، وتميل برأسها الصغير وشعرها الطويل ، في خفر وحياء ، تقر في صفحات ديوان أنيق خط على طرفه : «وحدي مع الايام» وقد ارتسمت براءة الاطفال في وداعة الاطيار وبعض من أشعة وظلال ذهبية غريبة على محياها الذي يفتن الشعراء والمصورين ممن عنوا برسم الملائكة ·

وسمعت على البعد شدوها الشجي وهي تغني يصاحبها في غسو الليل كمان عذب اللحن صاف كصفاء السماء وقد مشى وسط دجنة على غصن من الاغصان حيث التصق كناران جميلان :

« فاذا الليل سف منه الجناح
ومضت في انسراحها الارواح

فاسبقي أنت كل حلم اليه
واستقري هنـاك في جنبيه
عانقي روحه ، ورفي عليـه ٠٠ »

واقتربت وأنا القادم الجديد على هذا البستان البسيط، وقد تفتحت فيـه الاوراد ، وتنسمت الفراشات شذاها العطر، اقتربت من تلك الوردة الصغيرة دون أن آبه لغيرها من الازاهير والاقاحي فقد فتنتني تلك الابتسامة الطاهرة العذبة التي افتر عنها ثغرها الدقيق ، ومن غير أن أصغي صاغرا الا لشدوها الجميل وقد ملأت الروض أريجا عبقا ، ولطفا آسرا ، وبتولية واضحة ٠

ومضيت أصغي لغنائهـا وهو يملأ سمعي كموسيقى موتسارت دون أن أنبهها الى وجودي ، فما أحب أن أزعج العصفور الصغير وهو يلتقط الحب بمنقريه :

« ٠٠ انشديه شعري وغني لحوني
في هواه ، بثيـه كل شجوني
صوري لهفتي لـه ، وحنيني
حدثيه عن صبوتي ، عن جفوني
حدثيه ٠٠ حتى يلوح الصباح
فاذا قبل السنى عينيـه
وصحا ٠٠ لم يجد هناك لديه
غير «لا شيء» ماثلا في يديه ٠٠ »

أجل كثيرون من يهوون في هذا الوجود ، وسعيد من يغرق الى قاع أنفه في قارورة من العطر الخالد ، في سيمفونية حب رائعة ، ولكن ما أكثر أولئك الذين يترنمون بالحب من بعيد ، دون أن تمسهم ناره الزكية ، دون أن تلمسهم عصاه السحرية، دون أن يستيقظوا ذات صباح وقد تعلقت أفئدتهم بانسان معين ، حبيب ، أليف ، حنون ، بسمراء جميلة ، تضحك كما يضحك الاطفال ، وتجلس وديعة كالسنجاب اللطيف ، فتنفتح قلوبهم على مصراعيها ، أعني يولدون من جديد ٠ وكل من لا يحب يتمنى أن يحب وأن يحب ، ان يكن له انسان معين ، أن يبني واياه قصورا في اسبانية ، أحلاما وردية ، ويناضلان لتحقيقها ، ويصلان في النهاية « مدريد » أو « اشبيلية » أو ٠٠ « ارنايل » (*) ويحيكون خلية فاضلة سعيدة ٠٠ ولست أدري حقا من أي الفريقين هذه الصبية ، وان أكن أتمناها أن تكون من الفريق الذي أنا منه ، بل لعلي رائده ، أعني بالتأكيد الفريق الاول الذي يحيا وليس الذي يتمنى أن يحيا ٠ ولكنها كانت مفاجأة حلوة وصممت أن أسمع غناء هذه الصبية حتى النهاية ٠٠

« ٠٠ هكذا وليظـل حبي سرا
غامضا ٠٠ ان للغموض لسحرا
آسرا يجذب النفوس اليـه

(*) قرية جميلة جدا في ذرى لبنان ٠

حيث تبقى مشدودة في يديـه
ليس تقوى على الفكاك ٠٠ فكوني
أنت مثلي لديه ٠٠ عمقا وغورا
هكذا وليظل نهب الظنون
تائها بين شكه واليقين »

نوع من الحب ، لطيف ، ظريف ، خفيف ، ولكنه ليس ذاك الحب الجامح الذي يرتقي من الصبوة الى العاطفة « سنتيمنت » ويصبـح أخيرا هوى « بـاشـن »

وحييتها، فأجفلت لحظة، ثم أومأت لي ايماءتها المحتشمة وتساءلت عما أريد ، فأجبتها بالصمت ، أم تقل منذ قليل: « ان للغموض لسحرا ، آسرا يجذب النفوس اليه » ؟ وأشرت الى أنني أرغب في محادثتها ، فأذنت لي بالجلوس قربها ، كل ذلك دون أن نفوه بحرف ٠٠ ألم يقل جوته « ان كلام العيون أحلى » ؟ وفهمت أنني زميلها في المسرحية التي نتمرن على أدائها معا ، وريثما يحين دورنا رحنـا نتحدث عن الجمال والطبيعة والشعر الرقيق ٠٠

وخديجة ، شاعرة ، أو لعل الانسب أن أقول أنها تملك شاعرية حلوة ، وقد نشرت هذه المجلة منذ شهرين بعض مقطوعات من قريضها ، وآسف أن أقول أنه من أسوأ ما نظمت وان يكن يعبر عن بعض ما في نفسها من ضياع ورقوم اذ لم يستقر فؤادها بعد ولم تتجه في منحى معين ، انها متمردة ولكنها لم تصبح بعد ثائرة ٠

وتحدثت طويلا ٠٠ وأنا مشغول عنها بتأمل صفاء الروح وجمال النفس والاهتمامات الثقافية والقومية التي يلمسها بوضوح كل من يتصل عن قرب بهذه النخبـة الممتازة من الجيل الجديد ٠ وكم ينسحق الكثير من نفوس أبناء أمتنا في الظروف السيئة العصيبة التي نعاني منها وهم مهيأون ليخطوا في صفحات التاريخ المشرقة قصص أبطال وبطلات ، وعظيمات وعظماء ٠ وفي خديجة يتمثل كل هـــذا ٠٠ صبوة لدفء الحب ، للحكمة الجليلة ، للفضيلة الجميلة ، للثورة العارمة التي تثب بنا الى ذرى المجد والبطولة من غير أن يهيمن على منحى حياتنا سوى الحق والطبيعة الخالصة ، ولكنها أهداف غامضة في نفسها، ففي هـــذا الجيل العربي الكثيرون من « اللامنتمين » ٠ وخديجة واحـــدة من هؤلاء ، ولكن الانتماء ليس قدرا وجريمة ، ويقيني أنها ستصبح يوما ، ويوما قريبا ولا شك ، منتمية ، أعني ستجد ذاتها وتدرك هدف حياتها ٠٠ الطبيعية الخالصة ٠

وكان مجمل حديثنا الطويل ان للشباب حياة خاصة وفي هذه الحياة معان زاخرة، ولعلي أصدق التعبير اذا قلت أن الحياة هي في ما في عملية الشباب من مضمون غني ، ومحتوى ثر عميق ٠ وكل فلسفة متفائلة تتوجه في البدء لتحقيقها في الشباب ، وكل عقيدة ايجابية بناءة تستهدف

أن تتجسد في الشباب خلال بحثها عمن ينقلها من صعيد النظر الى مستوى العمل والتطبيق٠٠الجيل الجديد يحمل بذورا قابلة للانتعاش والنمو والتفرع في الارض جذورا قوية وفي السماء أغصانا باسقة ٠ وهكذا فالحياة تولد كل لحظة مع رؤية الوليد الجديد للنور ، وتحقق ديمومتها في تلك الصرخة الاولى التي يطلقها الوليد حال هبوطه من رحم أمه : « واع ! » وهنا ، وهنا بالذات ، نجد الصورة الاولى للثورة ، فجر الانبعاث ٠٠ الثورة هي بنت الحياة، لان الحياة هي الديمومة المتجددة ، وهذا التجدد هو اللحن الاول لسيمفونية وجودنا ، للثورة الدائمة ، والثورة ليست مجرد عملية الهدم بل هي البناء انطلاقا من الترميم والتجديد ٠ فالجسم البشري حين يتناول صاحبه الطعام ويتنسم الهواء يستقي مقومات بقائـــه ويستمد عناصر حياته ، وهذه العملية في الحق هي سد النقص وتجديد الخلايا بدم جديد ٠ فالحياة الحقة هي الثورة الدائمة ، والتخلص من الفاسد القديم وبناء الصالح الجديد٠ولكن الثورية الحقة هي الشباب الدائم أعني الولادة المستمرة ففي كل يوم ، بل في كل لحظة ، يجب أن نولد من جديد، أعني أن نهدم ما فينا من جوانب نخرة، من فساد وضعف، لنبني عوضا عنه اجوانب مشرقة جديدة ٠

ونودي علينا اذ حان الفصل الرابع من المسرحية ٠

الفصل الثاني :

جلست اشاهد تمثيلها في المسرحية التي كانت تقوم فيها بدور البطولة ٠ ورحت اتابع مراقبة المشاهد دون أن أفهم المحور العام للقصة ، اذ قدمت حديثا الى حيث كانت التجارب تجري بعد أن طلب مني المخرج الاشتراك بالتمثيل ٠ وأثــارت حفيظتي تلك الاخطـاء الشنيعة في التمثيل المسرحي من غير ان يهتم القائمون على الاخراج بالحركات والارشـــادات الضرورية لكل تمثيل مسرحي علاوة على ما كان من اهتمام باللهجة والصوت ٠ ومهما يــكن من أمر فقــد جلست دون ان انبث ببنة شفة لان نقدي سيكون صيحة في واد أجوف ٠ ورحت أجمع خيوط الرواية في ذهني وانا افتن بشكل خاص بشخصيات بعض الممثلين لما امتازت به نفوسهم من دماثة ورقة ولطف ، واغتظت بالمقابل من شخصيات تافهة أخرى ، على أن الذي أثار انتباهي بشكل خــاص هو هـــذه الصبية الصغيرة لوجودها مع قرينة أخرى تخالفها في معظم الاشياء والامور٠ ومضيت أراقب بصمت وهدوء ٠ وانتهى المشهد وجلست الفتــاتان بجــانب بعضهما ، وتناهى الى سمعي الحوار التالي :

ـ انظري ياعزيزتي ٠٠ لم تلبسين بهذا الشكل ؟

ـ ماذا تعنين ؟

ـ انك فتاة وليس من الجميل ان تلبسي ثيابا بهذا الشكل الذي أنت عليه !

ـ وماذا يجب أن البس ؟

ـ يجب أن تلبسي حذاء بكعب عالي ، وان تبرزي صدرك ، وترفعي مستوى طرف ثوبك ، وتوسعي فتحة كتافات الثوب من الاعلى لتبرزي مفاتن صدرك ٠٠

وأحمر وجــه الصبية ، فقد نشأت في امرة محتشمة تنظر بازدراء الى هذه الامور السخيفة ، وتتفه هذا اللون من المفاهيم التي تتقمصها أذهان العديــدات من فتيــات امتنا وهذا الضرب من السلوك الذي ينتهجنه ٠

وسنحت فرصة مناسبة وقلت لخديجة :

ـ لقد سمعت حواركما ، وآسف على ما سمعت ،ولكن من واجبي أن أقول لك شيئا الى مثيلاتك من الفتيات الطاهرات المحتشمات ٠ وأنا كشاب أحب المرأة ، وافتن بها ، ولكن ثقي أن كل الشبان يحبون الفتاة المحتشمة لا المتبرجة ، الفاضلة في سلوكها وتصرفاتها ولباسها ٠٠ وتلك الكعوب العالية ليست طبيعية ، وأنا وكثيرون غيري لا نحب هذه الكعوب العالية ، حتى ولا أنصاف الكعوب ، اذ لو كانت طبيعية لنمت عظمة رجل المرأة حسب قوانين « داروين » لتسد هذا النقص لو كان ثمة ضرورة حيوية او وظيفية (فيزيولوجية)٠أجل البساطة وحدها تفتننا ، الاحتشام في اللباس ، طرف الثوب الذي ينزل الى ما تحت مستوى الركبة ، الصـــدر الــذي لا يرفع بوسائل اصطناعية ، الشعر الطويل الذي يضفي على الفتاة طابع الانوثة الحقة لا الشعر القصير الذي يجعل منها مسخا عن صبي صغير ٠٠ ان المرأة في عصرنا الحاضر تعاني من عقدة النقص او الصغـــار الذاتي ــ الشعور بالدونية على مذهب آدلر ــ ولذلك ما أن تشب الفتاة حتى تريد ان تتقمص شخصية المرأة التافهــة السائدة ، فتتابع بشغف واهتمــام طرز اللباس الحديثة الواردة كل يوم من « باريس » وغيرها٠٠ ولكننا ياخديجة جيل الثورة ، وفي مقدمة ثورتنا يجب ان نتمرد على هذا كله ، يجب أن نحتفظ بشخصيتنا ، يجب ان نتخلى عن هــذه التفاهات ، يجب ان تخرج فتاتنا عن الاهتمام بالمساحيق ، بالطرز الجديدة للاثواب ، بوسائل اغراء الشاب والرجل٠٠عن الحديث في الجوارب والملابس الداخلية والاحذية وسواها ٠٠ عن الذهاب مرة أو مرتين في الاسبوع الى الحلاقة والجلوس تحت المجففة الكهربائية ٠٠ يجب أن نحمل السلاح والعدو يريد أن يلهينا ويلتهمنا، وسلاحنا هو الثقافة هو العلم والفن والفلسفة ، هو التفكير الناضج والسلوك الفاضل ، هو الثورة على كل أساليب حياتنا البالية لنبني المجتمع القومي الافضل ٠

وانتبهت الى نفسي وأنا أتحمس وأثور وأطيل الكلام وهي صامتة متبسمة ٠

ـ عفوك يارفيقة فان كل هـذه الامور تحز في نفسي وتثير حفيظتي ٠

فأجابتني في هدوء والابتسامة لا تكاد تفارق شفتيها :

ـ لقدكنت سأقول لك كل هذا لو لم تقله وأنا أحاول أن أكون بمستوى المرحلة التي تمر بهـا أمتنا وجديرة بالثورية التي تمور في أعماق نفسي ٠

وحان دوري في المسرحية فودعتها على أن نلتقي غدا ٠

الفصل الثالث :

كان الليل مدلهم في غسوه حين تناهت الى سمعي ألحان بتهوفينية من سيمفونيته الرائعة : «القدر يقرع الباب»٠ وهي موسيقى شديدة الالفة الى نفسي ونفوس الكثيرين من أبنـاء البعث الثوري العربي ٠ فـأصغيت الى مصدر الصوت وسرعان ما وجدت نفسي أنجذب اليه اذ تبينت انني لست في حلم من أحلام يقظتي الوردية ٠

كانت أصابع لطيفة تعزف لحنا من الحركة الرابعة على البيان « بيانو » وكـانت الانغـام السريعة تأخذ بعضها في رقاب بعض ٠ ولئن شاءت الظروف ان يعثر الفرد فيولد فقيرا لكن الحضارة سوف تغنى بما يخلفه لها من تراث رائع ، واذا قدرت السنوات العجاف لامتنا أن تـكبو وتغيب في دياجب الظلمة وبهمة الليل وترزح تحت نير العبوديـة ويطبق الجهل على خوانيقها ، فـان الثائر العظيم سوف يحطم القيود الغليظة ويطلق الروح العربية في سماء الانسانية الرحيب صقرا عربيا ، جميلا بقدر ما هو قوي ، وساميـا يحلق فـوق الارض الطيبة كمثل مـا هو طبيعي يشرب من مياهها النقية ويتناول الحبّ النظيف بمنقاره الجارح لكل من تسول له نفسه الاعتداء على عشيره وكرامته وعشه ومناهله ٠

وجميع هذه الافكار تتدافع الى ذهني كنت اسرع الخطا لارى اختي في حب الدقة وتذوق الشعر والسلوك الفاضل أصبحت تعزف على أوتار قلبي الحزين لحن الثورة لتعلن لي أنها أصبحت رفيقتي في الثورة ٠

واختي خديجة كمثل مـا هي شاعرة وممثلة وعازفة تملك احساسا مرهفا ومشاعرا عارمة تنضح بالروح العميقة الاغوار ، السامية التحليق التي يمور بها جميع نفوس أبنـاء النـكبة الا ممن مـاتت في أنفسهم عـزة النفسـ عن صيانة كرامة العروبة ٠

وحين أقول أبناء النكبة فلست أعني ، على الرغم من ان اختي خديجة كذلك ، لاجئي فلسطين ـ ولست أقول نازحي فلسطين لان في معنى اللجوء يكمن التصميم على العودة على حـين تتضمن فـكرة الهجرة الدائمة في معنى النزوح ، ومعاذ الحق أن يفكر عربي غساني الا في العودة الى ديارنا السليبة الحبيبة ـ فانني في الحق أقصد أبناء النكبة العربية بأسرها ٠ اذ حلت بامتنا العـربية نـكبة هائلة فظيعة سقط فيها الصقر العربي مضرجا بدمه ، جريح الفؤاد ، كليم الخاطر ، مهيض الجناح ، وبقي في جحره القميء عدة مئات من الاعـوام ، وعـاد يحلق الآن فوق رؤوسنا نزاعـا للطيران بنـا ، نحن أصحاب « العيون الظمآء للنور » وأبناء الانبعاث العربي الكبير ٠٠ القومي والانساني ٠٠ نحن جيل الثورة ، بكل ما في الثورة من عمق الانسانية ، وبهـاء التمرد ودفء التحرر ، ودفء العلاقة التي تربط بين قلبين عاشقين، ومن هدوء الفيلسوف في غمار الوغى ، وجموح ايمـان الفنان بالقيم النبيلة ، **ويقين العالم من النصر المبين ٠**

وخديجة من بنات هذا الجيل الذي يعرم بالاحساس بعمق المأساة ، وسمو الرسالة التي تقوم على كواهلنا ٠ **ولئن كان « جواب »(٢)** خديجة ، وأتراب خديجة ، على « التحدي » الذي طرحه الواقع العربي الفاسد هو من قبيل التمـرد « ريبليـون » الـذي يعرفـه « كـامو » بانه « احتجاج ذاتي » أكثر منه ثورة « ريفوليوشن »(٣) غير أن قانون النزوع الطبيعي سيحتم على خديجة ، واتراب خديجة ، أن يرتفع « جوابها » من مستوى « التمرد » الى صعيد « الثورة »٠٠وهكذا فقد فهمت معنى «الرسالة» في البناء ، والبناء الذاتي دوما سابق على البناء الهادف المجتمعي ٠ والاخذ التربوي مقدم على العطاء التربوي ، ومرحلة « الخبرة » ، أي تفاعل الفرد بالبيئة ، « وتكوين العقيدة » ، أي نقد البيئة في عناصرها الحضارية من مدنية وثقافة بالتحليل ووضع الحلول ، والتهذيب في انمـاء التفكير ، والتثقيف والتربية جملة ، والاعداد الحركي العام : للنقد ، وللتبشير ، وللبناء ، هذه المرحلة التي هي مستوى النظر الثوري سابقة على مرحلة الفعـل الثوري المؤلفة من : « التطبيق » الذي هو تحقيق الحلول ، وبناء بيئة جديدة، وتكوين المجتمع الطبيعي أي اعادة الانحراف الى اصوله مما يؤدي الى حدوث طفرة حضارية ، وتغيير في مجرى التاريخ ، ومن « التلاؤم » الذي هو تعلم كيفية العيش في البيئة الجديدة وتطويرها ، أي تجدد الحيـاة النفسية والاجتمـاعية ٠٠ واستمرارها والترقي بهـا ؛ وذلك مرورا بمرحلة « الثورة » التي هي اعادة تصحيح أوضاع البيئة والانتقال من « العقيدة » الى « التطبيق »

وبذلك اندفعت خديجة تحطم اسار اغلالها في البيت والمجتمع لترفع عن كاهلها الصفة القميئة التي حملتها السنون العجاف كاهلها كأمرأة تعتبر « جنسا ناقصا »، لتتحرر ، وتطلق مواهبها ، وكوامن عبقريتها ، وتشغل من جديد « الرئة المعطلة » في الامة لتعيد للمرأة صفتها الانسانية ، ووظيفتها القومية ، وساعدتها أسرتها العاقلة في انتهاج هذا السلوك الطبيعي ، ولو كان الى حد ما ،

(٢) اشتهـر مذهب « ارنولد تويغبي » في التفسير الحضاري للتاريخ بنظرية « التحدي والجواب » ٠

(٣) مقدمة « المتمدد » لابير كامو ٠

واندفعت في ظلمة المساء تبذل من نفسها بسخاء ، لتمد جسرا بجسمها وروحها ، وتفرش الطريق الى المصير السعيد بازاهيرها ، وروائع مواهبها ، وتملأ السبيل الى « ارضنا الطيبة » عبقا عاطرا وأريجا مسكرا ، لتعبره الاجيال الى الفجر والضحى ، الى المجتمع القومي والانساني الامثل ، وكل ما تتمناه خديجة ان ترى بواكير الهزيع ، وتشاهد جهودها الثورية قد أثمرت دون ان تطلب ، حتى الشكر ٠

وانتهت الحركة الرابعة ، وأنا أسوح مع أفكاري بهذه الصبية الصغيرة ، هذه الوردة المتفتحة بين أوراد عاطرة وأزاهير جميلة بدأنا نراها في الحياة العربية الجديدة على اختلافها في الالوان والاشكال ، هذه الفتاة التي جمعت الى براءة الاطفال وعفوية الزهرة المتفتحة تصميم الثوار في هدوء الناضجين ، وعمق الكبار في التفكير الدائب بالمسؤولية الكبيرة وحماسة الصغار في الثورية الحقة التي لا تستوحي غير قيمها ولا تقيم لغير منطقها وزنا ٠

والحق أن مسؤوليات خديجة ، كما عبرت لي بعينيها الوادعتين وانوثتها الرقيقة وشاعريتها المرهفة وثوريتها العارمة ونزوعها البديع للموسيقى والشعر والتمثيل والمطالعة ٠٠ رغم طفولتها الواضحة وسذاجتها التي ما زالت تبق فيها بعض السذاجة بعد ، ويقيني انه الى زمن قصير ، هي مسؤوليات كبيرة ، مسؤولية كل فرسان الثورة التي تشتعل في ظروف عصيبة وتريد ان تحقق جميع أهدافها مع جميع العقبات العثار المطروحة أمام سبيلها ٠ انها فتاة ، والمرأة عندنا « جنس ناقص ، جنس العبيد والجواري والاماء ٠٠ » ٠ يقول « شوبنهور » ان « المرأة انسان ناقص ، أشبه ما يكون بالطفل ، أو هي وسط بين الطفل والرجل ، قد خلت من كل استعداد نحو السمو الروحي الخالص ؛ وروحها فوق ذلك وضيعة قصيرة النظر ، مستعبدة للحظة الحاضرة والشهوة العمياء ، كلها حقد وغيرة وشهوة دنيئة!!» مرحى لشوبنهور ولنيتشه ولجميع رفقائهما من الناس « الكاملين » ذوي الاستعداد « نحو السمو الروحي الخالص » ٠

ان الفتى أكثر حيازة لمجالات العمل ، ومن هنا كانت الثائرات والمتمردات غير الجانحات في نظري ، اجدر بالتقدير من الثوار والمتمردين ، طالما نحن في هذه الظروف التي تعتقد فيها الذهنية البالية للجماهير الغوغائية في بلادنا بان المرأة هي هذا الشكل القميء الذي يتصورون، والعلم قد أثبت بما لا يدع للشك مجالا أن المرأة « تملك ما يملك الرجل من المواهب العقلية والقوة الجسدية فلا يفوقها في الاولى ولا تنقص عنه في الثانية »(١) كما ان العلم لا يفرق جسم الرجل عن جسم المرأة الا ما كان قائما على ذاتيه الجنسية في كليهما ٠ »(٢)

لقد بدأت الحضارة تتخلى عن الامم الغربية بعد حدوث الانشراخ العميق بين المدنية والثقافية في الغرب « فأفل نجمها » هناك كما قال « شبنجلر » مصيبا ٠ ولن تتمكن الامة العربية من حمل مشعل الحضارة الا باعادة صياغة هذه الحضارة من جديد والسير بها خطوات أبعد في طريق التقدم نحو الطبيعية الخالصة ٠ والمدنية هي جانب العمل من الحضارة ، والثقافة هي جانب النظر ، والنظر سابق على العمل ، وكل سلوك طبيعي مبني على تفكير طبيعي ، وهذا هو الحكمة ، وذلك هو الفضيلة ، وفي اتساق الفضيلة بالحكمة تتم السعادة ، وتتمكن البشرية من التقدم من الحيوانية الى الانسانية عبورا بالحيوانية البشرية ٠ ومن هنا كان أمام خديجة أن تعمل لتكون حكيمة ولتكون فاضلة ، حتى يمكن من اتساق الحكمة والفضيلة ان تحصل على سعادتها ٠ ولكن سعادتها لن تتم الا بسعادة المجموع لان السعادة الحقة ليست فردية على رأي «أرسطو» بل يهيمن أيضا قانون الاتساق الطبيعي على الفرد والمجتمع ٠ وبذلك فالسعادة الحقة فردية واجتماعية ، ذاتية وعامة، وبذلك يجب ان تساعد الامة لتكون حكيمة وفاضلة حتى تصبح امتنا أمة حضارية وتؤدي دورها التاريخي في الحضارة العربية الثالثة ٠ ولكن لا يكفي أن تحصل امتنا على سعادتها القومية فلا بد من ان تعمل أيضا لتنفتح قوميتنا العربية وتعمل أمتنا للسعادة الانسانية ٠

التصميم يقود الى النجاح ، وانا متفائل جدا من تصميم رفيقتي في الثورة خديجة يحى ، وكثير الاهتمام بالذي ستقدمه من نصيبها لانجاح الثورة العربية الكبرى » وواثق من النجاح الذي ستحرزه ٠ فحتى يضحك النصر على شفتيها ، ويورق الغار على نصلها ، ليس عندي الا أن أتمنى لها النجاح والتوفيق الكامل لها ، ولبنات أمتي من أتراب خديجة ٠

---

(١) « المقتطف » : مجلد (٥٤) جزء (٥) : قوة عضلات المرأة ٠

(٢) « المقتطف » : مجلد (٥٦) جزء (٢) : قوة عضلات المرأة ٠

تتمة ما نشر على الصفحة (٣٨)

ومع ذلك فان بين الجمهور من لا تهمه « الفساتين الراقصة » ، و « الحرائق في دمي » و « ما أحلى الرجوع اليه » ، والحقد الذي أنكره الشاعر في الشطر الاول ، واعترف به في الشطر الثاني •• وانما يصغي بعقله ، وقلبه ، واذنه ، الى ما يسمع •

ان لعبد الوهاب تراثا ضخما من الالحان والقطع الموسيقية المختلفة عزز بها مكانة امته العربية ، وفتح لها بابا جديدا من أبواب المجد والخلود • وما كان يليق بالموسيقار النابغة الذي ارتفع بفنه ، أو ارتفع به فنه ، الى الذروة ، حتى أصبح في مصاف الخالدين ، ان يسجل على نفسه مثل هذا اللحن الذي لا يتفق مع عبقريته ونبوغه • وان عنده من الغنى – غنى الفن والمادة – ما يكفيه ، وما كان يجب أن يغنيه عن الانزلاق بسمعته في سبيل الحصول على مجد عادي ، وربح رخيص •

وما أجمل الاشاعة التي انطلقت انه سيعيد النظر بهذا اللحن ، ويجعله في مستوى ألحانه الانيقة الخالدة •

عبد اللطيف اليونس

صفحة

سعر النسخة ١٠٠ ق٠ س

مطبعة الجمهورية